كلمات من نور

في خلق الحيوانات





الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ-٢٠١٧م

اسم الكتاب	: كلمات من نور في خلق الحيوانات
اسم المؤلف	: حسن خليل
الغلاف	: إيمان صلاح
الطبعة	: الأولى
رقم الإيداع	:٢٠١٦/٢٣٥١٢
الترقيم الدولي	٩٧٨-٩٧٧-٧٨٦-٠٩١-٨

٨ عمارات الواحة – قطعة ١٠ – مدينة نصر - القاهرة

ت: ٠١١١٠٣٧١٦٤٠

ghorabpublishing@hotmial.com

كلمات من نور
في
خلق الحيوانات

حسن خليل



الإهداء

إلى دار غراب، منـارة المـشرق العربـى، وقيثـارة الأدب، ومعقل الرواد، وقبلة الكتاب

حسن خليل

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ﴾ (النحل ٦٦)، قال المفسرون: إن الأنعام ثمانية أزواج وقد ذكرها الله تعال بالتفصيل فقال: ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ (الأنعام ١٤٣ - ١٤٤) وقال آخرون: هى كل ما ذلل للإنسان من جموع الحيوان. ولو نظرنا بنظرة أعمق وأشمل، لوجدنا بأن الأنعام هى كل ما دب على الأرض من حيوان، وكل ما طار فى السماء من طير، ويدخل فى ذلك الحشرات والديدان، والدليل على ذلك الآية نفسها، فقوله تعالى: (لَعِبْرَةً) والعبرة هى الاتعاظ بالماضى لتجنبه فى الحاضر، ولقد ضرب الله لنا الأمثال بكثير من الحيوان لعلنا نتعظ بها فقد ضرب الله تعالى المثل بالذى ينسلخ من آياته فجعله كالكلب، فقال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ

﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ (الأعراف ١٧٥ - ١٧٦)، وضرب الله مثلا لوهن الروابط ببيت العنكبوت فقال تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ (العنكبوت ٤١)، ومثلا آخر للجهل وعدم المعرفة بالحمار، فقال تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ﴾ (الجمعة ٥)، ومثلا للخوف ، فقال تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ ﴾ (المدثر ٥٠ - ٥١)، وفيه تنويه عن إقدام الأسد، كما ضرب الله تعالى مثلا على عظيم خلقته، وعجز الإنسان وضعفه، بالذباب، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾ (الحج ٧٣)، كما ضرب الله المثل للكثرة والتفرقة بالفراش، فقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ ﴾ (القارعة ٤) وللكثرة والتتابع بالجراد، فقال تعالى: ﴿ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ ﴾ (القمر ٧).

ومنها أيضا ما اتخذه الله جندا - وكلها جنود الله- كالهدهد، وهو من أشهر ما ذكر في القرآن من حيوان، فقال تعالى: ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ

فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (النمل ٢٠ - ٢٤) وقصته مع سيدنا سليمان مشهور ومعروفة. وقال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ **(الأعراف ١٣٣)**

ومنها ما أرسله الله ليعلم الإنسان قال تعالى: ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ **(المائدة ٣١)**

ومنها ما وصفه بتحمل المسئولية، وتبعات القيادة كالنملة فقال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ **(النمل ١٨)**

ومنها ما أوحى الله إليها لتعرف طريق رزقها ومساكنها كالنحلة، ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ ﴾ **(النحل ٦٨ - ٦٩)**

ومنها ما ذُكر على سبيل التشريف، كالخيل قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ (آل عمران ١٤)

ومنها ما ذكر لتحقير شأن الآخرين كالقردة والخنازير، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ ﴾ (المائدة ٦٠)

ومنها ما ذكر لنتدبر فى عظيم خلقته كالإبل، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ ﴾ (الغاشية ١٧)

مما سبق نجد أن الله تعالى: قد ذكر لنا جميع أصناف الحيوان، من الزاحف إلى الطائر، وما بينهما من ذوات الأربع، وأورد لنا سبحانه وتعالى قصصا وعبرا لنتذكر ونتعلم ونعلم بأنه ما خلق الحيوان إلا لحكمة سيعلمها الإنسان.

وحاولنا فى هذا الكتاب الذى بين يديكم أن نتتبع سلوك بعض الحيوانات على جميع أصنافها، ونتدبر فى الحكمة من خلقها، لعل الله ينفعنا بها، فبدأنا بذكر وصف مختصر للحيوان، ثم التركيز على سلوكه، ثم تسليط الضوء على هذا السلوك فى الإنسان، ثم الختام بما يناسبه، من شعر أو حديث أو قرآن، والله الموفق والمستعان.

حسن خليل

الحشرات



العنكبوت

قال تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًاۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ (العنكبوت ٤١) روعة فى النسج، ودقة فى الأبعاد، وتقدير الخطوات، ووهن فى البقاء، فقد تهدمه نسمة هواء، لا يُظِل من حر، ولا يقى من برد، وإن كان يسمى بيتا، يلوذ به الضعيف من البعوض والحشرات، لعله يحظى بالأمن والأمان وبعض الفتات، فما يلبث أن يتبدل الأمن خوفا، والأمان خيانة، والحرية قيدا، بل ويصبح اللائذ فريسة، ولا سبيل للخلاص، فإن كانت العنكبوت مع ضعفها، تأكل شريك حياتها، فماذا يكون فعلها بمن لاذ بها، فما لخائن فى يوم أمان، وما لقاتل بغير حق غفران، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ ﴾ (مريم ٨١-٨٢)

النمل



قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ ﴾ (النمل ١٨)

النملة ، صغيرة الجسم ضعيفة البنيان، راجحة العقل، سليمة الفكر، تحسب دائما لغدر الزمان، علمت أنهم جنود الحق فلا يظلمون، ولا بغير حق يقتلون، فكان الإعجاز فى قولها وهم لا يشعرون، فتبسم النبى العظيم لقولها، وثِقَل عقلها، وسعيها على رزقها، ورعايتها لأهلها، ولذا بقى النمل وسيبقى على طول الزمان، وانقرض واختفى قوى البنيان، فما كان البقاء أبدا للأقوى، وإنما كان للأعقل والأدهى، والناظر على مر الزمان يعتبر من تاريخ الإنسان، فهذا فرعون بقوة وظلمه ملعون على مر الأزمان، وهذا موسى بضعفه وقوة إيمانه، له فى الآولين والآخرين السلام، ولكن لا يعتبر إلا أولو الأبصار، ولا يدحض الحق إلا الأشرار، ولا تبديل لسنة الله فدائما ما ينصر الله الأخيار. قال تعالى: ﴿ ۞ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُواْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ٢١ ﴾ (غافر ٢١)



الذباب

قال تعالى﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾ (الحج ٧٣)

الذباب، قصير العمر، كثير العدد، ناقل للعدوى، حامل للمرض، قليل النفع، كثير الضرر، قل ما يجتمع إلا على قذر، مغتصب لحقوق الغير، ولا يأتى أبدا بخير، يؤثر النفع على نفسه، ولا يرجوه لغيره، ولذا يلقى بأولاده فى أحضان غيره، لا يحكمه عرف ولا عادة، ولا احترام للفرد ولا السيادة، فإن تميز فرد، لا يهمه عموم الإفادة.

فإن رأيت أمة يؤثر فيها الفرد الامتيازات عن وجود العدل بين الطبقات، أمة يساند فقيرهم غنيهم لا لشىء إلا تطلعا لبعض الفتات، أمة لا يحترم فيها القانون، ولا الأعراف ولا العادات، أمة تنساق خلف غرائزها، وتلقى بأبنائها فى الطرقات، فاعلم أنهم لن يجتمعوا أبدا على خير، ولن يحصد من ورائهم إلا الشر، فإنما هم كذباب ترك النضر، واجتمع على القذر، وأن مصيرهم إلى زوال، وإن طال بهم العمر، فما

هم إلا كزبد ركب الموج، فنبذه بالعراء البحر، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (الرعد ١٧)



البعوض

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَا ﴾ (البقرة ٢٦)

البعوضة، ثاقبة للجلد، شاربة للدم، تنشط فى الظلام، فتفتك بالأنام، تنقل الآلام، وتسبب الأورام، وتمزق العروق، أما الذكور، فتبيت على الزهور، تتنسم العبير وتمتص الرحيق، فإذا ظهر النور فرت واختفت، وتبعها الذكور، وكأنها علمت ما أحدثت، فآثرت عدم الظهور.

وهكذا ينتظر الظلام، كل قتال كفور، مناع للخير كاره للنور، فإذا ظهر النور احترق، وتبعه المارقون محبوا الظلام كارهوا النور، قال تعالى: ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا يُبۡصِرُونَ ﴾ (البقرة ١٧)





النحل

قال تعالى: ﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ ﴾ (**النحل ٦٨**)

النحل، مملكة النساء والعمل الدؤوب، وترياق الشفاء ودواء القلوب (يَخۡرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَانُهُۥ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ) (النحل ٦٩)، دقة ونظام، وعيش فى سلام، الكل للواحد، والواحد للكل، ولا مكان للكسول، أخلصت فى عملها فأوحى إليها ربها، فأمنها فى بيتها ﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ (**النحل ٦٨**)، وضمن لها رزقها ﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًاۚ ﴾ (**النحل ٦٩**)، خلقت للنفع، فإن أضرت ماتت حزنا على من أصابه الضر، هكذا يعلو شأن الأمة، بعلو شأن نسائها، وقيام كل منهن بدورها، فإذا قيس علو الأمة، بقدر ما يظهر من أفخاذ نسائها، وصدورهن العارية، فاعلم أنها أمة هاوية، ما لها من باقية، ذكورها فى ضلال، ونساؤها فى انحلال، وما بها من رجال، واعلم أنهم فى شقاق، وأن سبيلهم إلى هلاك.

قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَ، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ؟ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**» **(رواه مسلم في صحيحه)**



الجراد

قال تعالى: ﴿ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ﴾ (الأعراف ١٣٣)

الجراد ، كثير العدد، شديد النهم، سيء الأثر ، لا يبقى ولا يذر، شر إذا انتصر، وخير إذا انكسر، جيش فى الهواء، يهبط حيث شاء، فيهلك الحرث، ويفنى الثمر، ولا يهلكه إلا المطر، فإن عبر لا يلتفت إلى الأثر، ثم سار حيث يريد القدر.

فإذا رأيت جيوش القمع تتحرك ولا خطر، وتترك خلفها سيء الأثر، ولا تبقى للحق قولا ولا تذر، فاعلم أنما هم جراد منتشر، فاستعن بالله وانتظر المطر. قال تعالى: ﴿ خُشَّعًا أَبۡصَٰرُهُمۡ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ كَأَنَّهُمۡ جَرَادٞ مُّنتَشِرٞ ۝٧ ﴾ (القمر ٧).



الفراشة

قال تعالى: ﴿ يَوۡمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلۡفَرَاشِ ٱلۡمَبۡثُوثِ ٤ ﴾ **(القارعة ٤)**، الفراشة، إبداع ودقة، وجمال ورقة، تخرج من حرير، وملمسها كالحرير، خيار بين المال الجمال، حبيسة فى شرنقة من حرير، فمن أراد المال أحرقها وآثر الحرير، ومن أراد الجمال أطلقها، فهامت تطير، تمتص الرحيق، وتلقح الزهور، وتنشر العبير، فيعم الخير، ويعمر الكون، ويهنأ الكل بالجمال، ويهنأ البخيل وحده بالمال.

وهكذا الطغاة على مر الزمان، يقتلون الحب، ويحرقون الجمال، ويجمعون المال، ومصيرهم إلى زوال، وينعم بالحب أهل الجمال، وكأنهم فراش فر من الحبال، فملأ الدنيا بالحب والخير والجمال، وما سعيهم إلا لله، فالله دينه الحب، وطريقه الخير، ومآله الجمال، قال ﷺ: «**إن الله جميل يحب الجمال**» **(أخرجه أبو يعلى فى مسنده)**



القمل

قال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ (الأعراف ١٣٣)

القمل، متطفل، يأكل ويضر، سيء الأثر، كثير الضرر، يزيد كلما زاد القذر، لا يهمه العائل، وإنما همه العائد، فإن تطهر عنه انتقل، إلى من هو أشد منه قذرا، فلا عيش له إلا فى القذر.

فإن رأيت أناسا ينبذون الطهر، ويؤثرون القذر، وينأون عن النفع، ويحبون لغيرهم الضرر، فاعلم أنهم ليسوا من أهل البيت، وأنهم متطفلون لا يحبون العمل، فصاحب البيت ينظفه من القذر، ويطهره من الضرر، ولا ينتقل عنه وإن كان فى خطر، فالطفيلى ذاهب وإن طال بقاؤه، وبزواله يزول الضرر، ليعرف الناس الفرق ما بين النفع والضرر.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ (الأحزاب ٣٣)



البرغوث

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ﴾ (الأنعام ٣٨)

البرغوث، صغير الحجم، مصاص للدم، لا تراه العين، ولا يعرف له أين، حقير ولكنه خطير، يسكن الشقوق، ويؤرق الملوك، قوته فى خفائه، وسرعة ارتقائه، لا يحمل للجسد الهم، فإذا بلى الجسد انتقل من دم إلى دم، ينمو فى القذارة، ويباد بالطهارة، فما له إلا الطهارة همٌّ، فإذا رأيت ملوكا لا يحملون الهم، ويستلذون بسفك الدم، وشعوبا تبيح لهم الإثم، وتقر أعينهم باستباحة الجسم، يعشقون القذارة، وينأون بأنفسهم عن الطهارة، يعيشون على سفك الدم، ونشر البلاء، وإفشاء الهم، فاعلم أنهم براغيث دم، اجتمعوا على قذارة ، تجلب للبدن الهم، ولا حل لهم إلا التطهير، فالطهر لهم إبادة. قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ (التوبة ١٠٨)



السرعوف (فرس النبي)

جمال على غير عادة، وقوة وسرعة، وافتراس بلا هوادة، لا يبقى شيئا ولا يذر، يفترس الطائر والزاحف وكل من له على الأرض أثر، يقف وقفة الصلاة، ولكنه ينظر بعينيه فى كل اتجاه، فإن تحرك مخلوق فقد الحياة، فأسموه راهبا بسبب الوقفة، وإن كان راهبا لا يعرف الرحمة،فأصبح صديقا للزارع، وإن كان يأكل الضار والنافع، وبرغم غروره وقوته، إن باشر أنثاه من رأسه أكلته، ففقد الحياة فى لحظة؛ جراء شهوته.

فلينظر كل مغرور بقوته، كيف استحكمت فيه شهوته، فمهما بلغت به القوة، أذاقته الشهوة الضعف والذلة، فلا تغرنك القوة فتطغى، ولا تذلك الشهوة فتهوى، **(يا ابن آدم إذا غرتك قوتك فلما استحكمت فيك شهوتك، وإذا غرك غناك فارزق عباد الله يوما واحدا)**

(الإمام على بن أبى طالب فى نهج البلاغة)

الخنفساء



صغيرة الحجم، بطيئة الحركة، كثيرة النسل، حيث دارت البيئة تدور، تتحمل البرد والحرور، وفى الماء تعوم، وفى الهواء تطير، تتوشح السواد، وتحفر لغيرها القبور، وما هو بفضل لها، وإنما على جثث الموتى يحيا صغيرها، فموت الآخرين حياة لها، فلا عجب أن السواد لونها.

هكذا يحيا كل طالب لذة عيش، على جثث الفقير طالب العيش، فيستبيح الدماء، ليتثنى له البقاء، فملأ الكبر قلبه، وكسى السواد وجهه، وصار من أهل الشقاء، وما قارب خُلُق الخنفساء، فإنما تعيش على جثث الموتى، ويعيش على قتل الأحياء، قال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (المائدة ٣٢)

الصرصور



صغير أعمى البصر، يهوى الظلام ويعيش فى القذر، يهلكه النور والريح العطر، فإذا أقبل النور شعر بالخطر، لعلمه أنه منبوذ وتستقبحه البشر، فلما رفع عنه الغطاء -صدفة- خرج وانتشر، وشعر الجميع بأنه انتصر، فلما أحس بالنور أدرك بأنه انتحر، ولما تنسم جميل العطر؛ سدت حواسه واندحر، فآثر العودة إلى الظلام وإن دهسته تحتها الأقدام.

كذلك كل من خاف النور، واستهواه الظلام، وآثر العيش منحنى الرأس يقبل الأقدام، إذا جاءه شعاع من النور هلع، وإذا اتنسم جميل العطور جزع، فلا النور له طريق، ولا العطر له أنسام، فإن قيل اصبر على النور والريح العطر، فإنه خير طريق للبشر، قال إنما نحن قذر ولا نعيش إلا فى القذر

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ ﴾ (الجاثية ٢٤)





دقيق الحجم، ضعيف البنية، قبيح الشكل، يجيد الخفاء، مصاص للدم، عاشق للقتل سفاح، وكأن القتل له مباح، فإذا قتل مثَّل بالقتلى، ثم حمل فوق ظهره الأشلاء، لتبقى معه حيث راح وحيث جاء، يستعرض القوة بالقتل، ويرهب بالجثث الأعداء، فإذا جن عليه الليل توارى، واكتفى بمص الدماء.

كذلك كل سفاح ما له عقل، يظن بأن راحته فى القتل، ليشعر نفسه بالأمان، باستعراض القوة والعنفوان، ليرهب الأعداء، ويضمن مِن الأصدقاء الولاء، فإذ جن عليه الليل جفاه المنام، خوفا من البطش به والانتقام، فلا القتل أرهب الأعداء، ولا أشعره يوما بالأمان. قال تعالى: ﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ (الحشر ١٣)

الدبور



صغير جميل، زاهى الألوان، له جناحان أو يزيد، قد يعيش فردا، أو يعيش فى جماعة، يأكل الصغير من الحشرات، ويطهر الزرع من الآفات، سمه قليل، ولكنه خطير، يقتل على الفور الصغير، وقد ينجو مع شدة الألم الكبير، فإن هوجم وأحس بالخطر؛ أطلق رائحة الحذر، فأسرعت إلى حيث هو الدبابير، لتهاجم المغير، حتى وإن مات المستجير، فلا ينجو من لدغتهم إلا القليل.

فلا يغرنك الضعيف وإن كان وحده، فلا تعرف من سيأتى بعده، فربما يطلق صيحة ليستجير، فيأتى من الأقوياء الكثير، فيكون قتالهم هلاكا، والهروب منهم مستحيلاً، فتصبح كمن طار وارتفع وفوق عش الدبابير وقع. قال تعالى: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾ **(الأنفال ٩)**



اليراع

صغيرة منيرة، أجنحتها قصيرة، وأرجلها كثيرة، تخرج انزيمات، وتضعها فى مركبات، فينتج الفوسفات، فتضىء الظلام لنفسها، وتتعرف بمن كان مثلها، وتجذب به الفرائس الصغيرة، وترهب منها الكبيرة، فأسرها الإنسان لتكون له قنديلا.

وهكذا النور له منابع كثيرة، ومنافع كبيرة، وقد تكون عواقب خطيرة. فاستوثق من المنابع، وتأكد من الدوافع، ثم ابحث عن المنافع، واقترب من النور ولكن بحذر، فربما يكون فى القرب منه خطر، فقد تحسبه نورا، فتجده نيرانا خطيرة.

قال تعالى: ﴿ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ (الحديد ١٣)

الأرضة



صغيرة لا تراها العين، ولا تعرف لها أين، تمشى فى جيش، وفى المستعمرات يحلو لها العيش، تهجم بجيوش ضارية، وتأكل بشراهة متناهية، فتترك الحوائط خاوية، لها صوت كطقطقة النيران، وحكاية مع النبى سليمان ﵇، حيث أكلت عصاته، فتبين للجن وفاته، وأينما يحلو لها العيش ويستطاب، حل بعده البوار والخراب.

فلا تحتقرن الصغير قليل الضرر، فإن كثر أمثاله قد يعظم الخطر، ولا ينفع معهم دفع ولا حذر، فقد تكمن قوته فى الصغر، والاختفاء عن النظر، فمن عظَّم قدره نجا، ومن استحقره أصابه الضرر، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ ﴾ (سبأ ١٤)

الطيور



الهدهد

قال تعالى: ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (النمل ٢٠: ٢٤)

ترك للهوى، وبلاغة فى القول، وصدق فى النقل، ، وتفصيل للنبأ، وإظهار الحقيقة للملأ، فلم يسأله نبى الله سليمان، ولم يفضحه الله فى القرآن، عما كان يفعله فى سبأ، لأنه ترك هواه، وانشغل بما يحبه الله، وترك أهواءه الخاصة، ليعم الخير على العامة، فأصبح مثالا على مر الأيام، ورائدا من رواد الإعلام، هدى الله بكلماته أمة، وكشف بصدق نقله عنهم الغمة، فأرسله القائد العظيم، ليتبين أصادق هو أم كان من الكاذبين، فلما تبين صدق الواقع، هب القائد بالجيش الواعى؛ عن الحق

يدافع، فبصدق الإعلام تبنى الأمة، وبالكذب والتدليس تزيد الغمة، وبشعب جاهل، وقائد فاشل، وإعلام سافل، تختفى المبادىء، وتنتشر الرذائل، ويؤتمن الخائن، ويخون الأمين، فما العيب فى القيادة، وإنما العيب فى شعب على الفسق يعين، قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ (الزخرف ٥٤)



الغراب

قال تعالى: ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ﴾(المائدة ٣١)، الغراب، قوى البنيان، دباح نواح، نهاب نعاق، للأرض نباش، وبرغم ذلك صاحب سبق، وله على الإنسان فضل، أحذر الطيور صيدا، وأقبحهم مشيا، وأنكرهم صوتا، وأكثرهم ذكاء، لا يخشى الجوارح، وله مخلب جارح، يأكل الطازج والجيفة، ويسرق الذهب واللامع، يحذر الاقتراب، ويعشق الخراب، فإن فارق الدار الأحباب، نعق ووقع عليها الغراب، فصار نعيقه رمزا للفراق، ووقوعه رمزا للخراب، فإن رأيت من يفرح بالموت، ويسعى إلى الخراب، فاعلم أن زمانه شؤم، و حديثه سراب، ووعده نعيق غراب، قال تعالى: ﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (المنافقون ٤)



الكروان

الكروان، عاشق الليل، أمير الظلام، جميل الصوت، رائع الأداء، تسمعه فى الحزن بُكاء، وفى الهم دُعاء، وفى البعد نداء، وفى الفرح غناء، فإذا انقضى الليل مضى، وقد لبَّى نداء المحتاجين، وانتظر الجزاء من رب العالمين.

هكذا أهل الخير فى السر يعملون، وفى الليل لا يهجعون، وإلى الناس لا يحتاجون، فإذا مسهم الضر فإلى ربهم يعودون، قال تعالـــى: ﴿ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ (التوبة ٥٩)



الصقر

قال تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ ﴾ (المائدة٤)، الصقر، سبع فى جو السماء، يحلق حيث شاء، ويهبط حيث يشاء، أبى لا يعرف الخوف، قوى لا يعرف الضعف، تخشاه سباع الأرض، وترهبه سباع السماء، إذا هم فعل، وإذا استهدف أصاب، يصيد ليأكل، لا ليقتل، فإن اكتفى ترك الغنيمة، للضعيف وقليل الحيلة، لا يظلم رغم قوته، ولا يظهرها إلا لحاجته.

فكن كالصقر قويا أبيا لا تعرف الضعف، فإن تكالبوا عليك فحلق عاليا، ثم تخير الصيد وعليه انقض قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾ (البقرة ١٩٠)



الورقاء

الورقاء، رقيقة جميلة، بلهاء حزينة، لا تحسن الاختيار، تبنى العش على الجدران، بالقرب من بنى الإنسان، ثم تسعى على فراخها، وهو يرقب سعيها، فإذا نضجت أخذها، فناحت وطال نواحها، ثم تعود فتفرخ فى نفس المكان.

فإن رأيت المظلومين يملأون الدنيا صراخا، حتى إذا انكشف عنهم الظلم، التجأوا للظالم ليشعرهم بالأمان، فاعلم أنما هم وراقٍ بله، لا يستحقون لقب إنسان، قال تعالى: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ (الزخرف ٧٦)



البوم

البوم، قاهر الليل، ذليل النهار، علم قبح منظره، وضعفه بالنهار، فآثر الليل، والليل للعيوب ستار، يألف الناس ولا يألفوه، ويقتل ما يضرهم، وإن رأوه قتلوه، ويسكن الدار بعد هجرهم، فإن عادوا إليها طردوه، حتى الطير إن رأوه صباحا من ريشه جردوه، فإذا جن الليل فر الجميع وتركوه، فعاد ليقتل ما يضرهم، وغفر ما فعلوه، وقالوا نذير شؤم، أينما حل كان الهجر، وما سكن الدار إلا بعد ما هجروه.

هكذا يحكم الناس على المرء، بما سمعوه، فإن كان خيرا عظموه، وإن كان شرا وضعوه، ولو كان ما رأوه منه غير ما سمعوه، ولذا قال تعالى: ﴿ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ ﴾(لأعراف ١٩٨)



البلبل

البلبل، أمير الألحان، مبدع فنان، حسن الصوت، طليق اللسان، يشجى بصوته الطير، كما يشجى به الإنسان، جميل الخلق والخُلق، يغرد نهارا ليسعد غيره، فإذا جن الليل على إلفه يسكب الألحان.

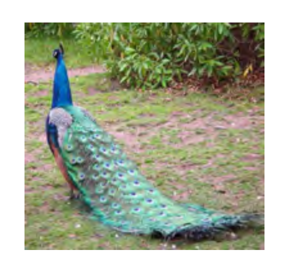
هكذا تكون صفات الآدمى الإنسان، يسعى على رزقه، فيساعد المحتاج، ويحنو على الضعيف، ويسعد الخلان، فإذا جن الليل كان لإلفه الحب والحنان، وصغاره الأمن والأمان، قال رسول الله ﷺ: «**خَيْرُكُمْ ، خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ**» (**رواه ابن ماجه فى سننه**)



النسر

النسر، كبير الجوارح ، وليس بجارح، قوى البنيان، حاد البصر، ولكنه جبان شديد الحذر، لا يقبل على الصيد خيفة، ولا يأكل إلا الجيفة، ويبقى بجوارها، إن تحركت هرب، وإن مكثت اقترب، وظل دهرا يأكل لحمها، يسكن المعالى، وليس من أهلها، وإنما يستظل بظلها، يمرح ما فى الحياة رغد، فإن أصابه العى انتحر خوفا من المرض.

هكذا يتباهى الجبان بشجاعة غيره، ويستظل بظله، فإذا انكشف هرب، أو مات من شدة خوفه، قال تعالى: ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (التوبة ٥٦)



الطاووس

الطاووس، متوج على عرش الجمال، يزهو بريشه، ويتباهى بذيله، وإن كان لا يحسن الطيران، يسعى على صغاره، ويحنو على إلفه، فهو فى عالم الحب مثال، يدافع عن وطنه، ويحمى صغاره، وإن كان لا يحسن القتال، ولكنه للأرض نباش ، للزرع خراب ، قبيح الصوت شديد الصراخ ، ولولا ذلك لتوج على عرش الكمال.

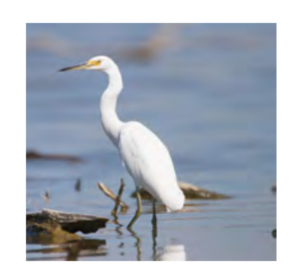
فإن رأيت من ظن فى غيره النقص، وفى نفسه الكمال، وأنه فريد بلا مثال، فاعلم أن الله ابتلاه، بجنون العظمة، وداء الكبرياء، فلينتظر قصمه، وكفى بالقصم ابتلاء، قال رسول الله ﷺ مخبرا عن رب العزة: «**الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني فيهما قصمته ولا أبالي**»(أبو داوود فى سننه)



الببغاء

الببغاء، جميل الشكل، بديع الألوان، ثرثار، كثير الكلام،يحفظ بغير علم، و يتكلم بلا فهم، ويردد بلا عقل، فيضر وإن كان بغير قصد، ما له من نفع، يتعالى على الطيور بطلاقة اللسان، ظنا منه بأن الكلام ذكاء، ولا يعرف بأن الترديد بغير فهم محض غباء.

فإن أدركت قوما يتكلمون بغير وعى، ويتجادلون بغير فهم، وكل يظن فى نفسه الذكاء، وإن كان لغيره قد أساء، يعشقون اللغو، ويهرعون إلى اللهو، فإنما هم ببغاوات غاب عنهم الفهم، حديثهم شر، وصمتهم خير، فأعرض عنهم وعليك بالصمت، قال رسول الله ﷺ: «**وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خيْراً أَو لِيَصْمِتْ**» (البخارى فى صحيحه)



مالك الحزين

مالك الحزين، انسيابية فى السماء، ثبات فى الأرض، ورشاقة فى الماء، يطلب رزقه فى سكون، لعلمه بأن الرزق مضمون، تخشاه الأفاعى، وترهبه القوارض، وكل فاسد فى الأرض هو له صائد، منظف للبيئة، صديق للإنسان، فإذا جُرح غرد بأعذب الإلحان، بكاءً على غدر الزمان، أو نكران جميله والنسيان،أو لحنا للموت وقرب الأوان، لذا علقت باسمه الأحزان.

هكذا كل صانع للجميل، يحزن على نكران الجميل، وغدر القريب، وبعد الحبيب، عندما يغدر الزمان، وتسكنه الجراح، وتصحبه الآلام، فما له إلا البكاء، فقد يكون فى الدمع له دواء، قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ كُلَّ قَلْبٍ حَزِينٍ**»(**أخرجه الحاكم فى المستدرك**)

الحمام



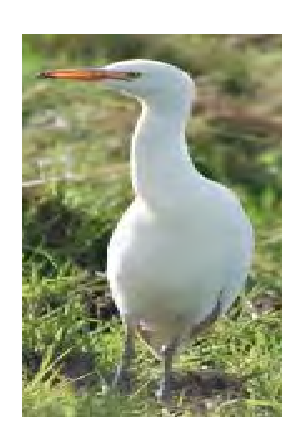
الحمام، شكله جميل، وصوته هديل، حافظ للود، ولا يخيس بالعهد، يعشق إلفه، ويحفظ صغاره، ويألف دياره، ولكنه مسالم، فى عالم لا يعرف السلم، مثالى فى عالم بلا مثل، أمن الإنسان فأكل فراخه، بل وجعله طعما لصيده، وأمن الحيوان فأكلته الجوارح، فبغيته السلام جعلته طعما للحيوان والأنام، وقد أخطأ من جعله رمزا للسلام، فإنما هو رمز الغباء والاستسلام، إلا إن كان هذا عندهم مفهوم السلام، فعن رسول الله عيسى عليه السلام: «**قَالَ : يَا مَعْشَرَ الْحَوَارِيِّينَ ، كُونُوا فِي الشَّرِّ بُلَهَاءَ كَالْحَمَامِ** » (ابن حبان فى المجروحين والضعفاء)



البجعة

البجعة، طائر جميل المنظر، رائع التكوين، رشيق الأداء، يسبح بنعومة فى الماء، ويطير بسلاسة فى الهواء، ويقتات كل ما فى الماء، فإن لم يجد افترس من الطيور الأصدقاء، تحسبه هادىء الطباع، لا، وإنما هو سريع الأداء، وإنما سكونه لمباغتة الصيد، فى الأرض كان أو فى السماء، وبرغم رشاقته جوا أو فى الماء، إلا أنه فى مشيته شديد الغباء.

فابحث فى نفسك عن مواطن الجمال، واعلم أن لكل موطن رجال، فالنفع فى كل شىء محال، فاختر ما يناسبك، واترك لغيرك المجال، فكلٌ خلق لحال، قال رسول الله ﷺ: «**كلّ مُيَسّرٌ لما خُلِقَ له**» **(البخارى فى صحيحه)**



أبو قردان

شديد البياض، شديد الذكاء، هادىء الطباع، مقياس للنقاء، صديق للإنسان، ولكنه حذر، لعلمه بأن صديقه غَدِر، يلتقط الآفات، ويتصيد الحشرات، ولا يعيش إلا فى جماعات، فإن فسدت البيئة وتغير المكان، انتقل منها أبو قردان.

فإن أدركت قوما أفعالهم رديئة، وأحلامهم دنيئة، فاعلم أنما قد فسدت بهم البيئة، وما لهم من إصلاح، ولكن عليك فى نفسك الصلاح، وانتقل بنفسك من الطلاح إلى الفلاح، ففى الأرض للمستضعفين براح، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ ﴾ (النساء ٩٧)



الوقواق

الوقواق، نذل ما له أصل، تلقيه أمه بيضة فى عش غيرها، ثم تمضى لأهوائها، فإذا فقس ألقى البيض من العش، واستأثر بالعش لنفسه، ثم قلد صوت الحاضنة واستعطفها لإطعامه، حتى إذا فطنت بأنه ليس فرخها، وأحس هو بنفورها، ابتزها وأطلق صفيرا يستدعى به من الطير الكواسر، فتطعمه لتسد منقاره مغلوبة على أمرها، وخوفا على حياتها، فإذا شب تركها ومضى ليبدأ دورة أخرى لحياته. كذلك كل نذل قليل الأصل، عند بلوغ غايته يتنكر من صاحب الفضل، بل ويبتزه إذا اقتضى الأمر، ولا يأبه إن مات غيره فى سبيل عيشه، فحياة غيره فرع، وحياته هى الأصل. قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ ﴾ (النساء ١٤١)



العصفور

العصفور، كل السماء له براح، وكل الأرض له وطن، و كل الأشجار سكن، وبالنور والظلام يعرف مرور الزمن، يهيم بجناحية فحيث الرزق سكن،يسعى صباحا فإذا جن عليه الليل سكن، ويشدو لإلفه فإن بادله الحب؛ إليه سكن، لا يحمل ضغينة، وقلبه إلى الله سكن، وكل له متربص، ولكنه بالأجل منهم أمِن، فإن أصابته طلقاتهم، علم أنه انقضاء الأجل

فكن كالعصفور، طليقا، لا يظلك مكان، ولا يرهبك مرور الزمن، وثق بالله، فلن يصيبك إلا ماكتب القلم، وعش بالحب فبذكرى الحب يطول الأجل. ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١ ﴾ (التوبة ٥١)



السلوى (السمان)

قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾ (البقرة ٥٧)، السلوى، طائر الحياء، يمشى على استحياء، ويسلم للقدر، ويرضى بالقضاء، يرسله الله حيث يشاء، فأرسله بالخير لمن ليس فيهم خير، فأطاع وأبوا، فأطلقه حيث شاء، وكثَّر نسله، وملأ الفضاء، يعيش صيفا فى أوروبا، وفى أفريقيا يقضى الشتاء، وذلك له حسن الجزاء، لقبوله بمر القضاء.

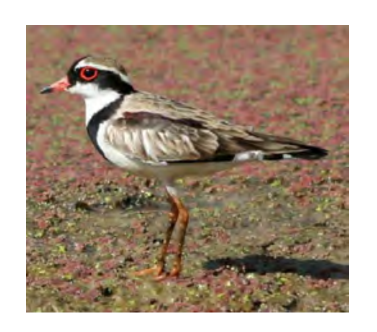
فإن رأيت أقواما يسخطون لمر القدر، ويفرحون لحلو القضاء، فإنما هم فى ضلال ويعبدون الأهواء، فكأنهم سمان ضل فقضى فى أوروبا فصل الشتاء، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ (الحج ١١)



النعامة

النعامة، سيدة الطير، سريعة العدو، رشيقة السير، طويلة العمر، تحفظ صغارها، ولا تخشى أبدا عدوها، ادعوا بالجهل حمقها، حين تخفى فى الرمال رأسها، ظنا منهم بأنها تختبى من عدوها، وإنما تفعلها لتطمئن على بيضها، ولتعرف مدى قرب أعدائها، بانتقال الذبذبات إلى رأسها، فإنما الأحمق من ظن حمقها.

هكذا ينجو من الهلاك كل حذر، استخدم علمه، إما فى توقع الخطر، وإما فى اقتفاء الأثر، فكن كالنعامة تدفن رأسها لتستبين الخبر، ولا تكن كالأحمق يدفن رأسه ليتقى الخطر. قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴿٧١﴾ ﴾ (النساء ٧١)



طائر السقساق

السقساق،يأكل الفتات، وعلى بقايا الطعام فى فك التمساح يقتات، فيختال بين فكيه فى أمان وثبات، فيزيل عنه الأوجاع، لتزداد حدة سلاحه الفتاك، بل ويصرخ عاليا إذا أحيط الوحش بالخطر، فينبهه خشية وقوعه فى الشباك، فحياة الوحش له حياة، ومماته له ممات، ويظن بأن الوحش يحبه، ولولا شوكة فى رأسه لأطبق عليه الوحش فكيه ومات، فيبقيه حيا لخدمته، وعلى غيره من الضعفاء يقتات، فإن ضعفت شوكته أكله، واستخدم غيره ليعطيه الفتات.

كذلك كل نذل، يرضى بالفضل، لمن ليس عليه فضل، وإن قتل الأصحاب والأهل، يرضى منه بالقليل ، ويبذل له الكثير، ولا يعلم أنه يعطيه لحاجته إليه، فإن لم تكن له حاجة بتر قدميه، وسمل عينيه، وتركه فى العراء بلا كلأ ولا ماء، قال تعالى: ﴿ مَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ (غافر ١٨)

الزرزور



الزرزور، جميل صغير، قوى القدم، كثير الحركة ، سريع الهرب، كثير العدد، علم فى الطير مدى ضعفه، فاستعان على الأعداء بأقرانه، يجتمعون فى اليوم ساعة، ثم يطيرون فى جماعة، فى موجة واحدة، وحركة ثابتة، ليظهرون الفتوة، ويستعرضون القوة، ويتركون الوحدة، فيرهب العدد أعداءهم، ويهاب فتوتهم، وترهبه وحدتهم، فلا يقرب منهم وإن تفرقوا بعد وحدَتِهم، فيأمن سباع الطير، ويعيش فى الجماعة على خير.

فاعلم أن فى الاتحاد قوة، وفى الفرقة ضعف ومذلة، فالتزم الجماعة وإن كانت قلة، تورثك المهابة، وتعطيك القوة، فهى عند البعد مظلة، تقيك البطش الغاشم، لمن يملك بيديه القوة. قال رسول الله ﷺ **«الجُمَاعَةُ الجُمَاعَةُ»** (رواه أحمد فى مسنده)

اللقلاق (طائر النار)



اللقلاق، طويل الأرجل، واسع الأجنحة، جميل، ولكنه خطير، يصيد من الماء الضفادع والأسماك، وفى البر الحشرات والفئران، وكل صغير ضعيف البنيان، لا يخشى الإنسان، ويعشق اشتعال النيران، ويسعى إليها حيث كان، لا ليطفئها، وإنما ليلتهم الناجى منها، ففى اضطرامها حياته، وفى خمودها قد يكون مماته، فإن لم يجد ما يبتغيه فى ناره؛ انطلق وأهوى إلى القذارة، فيأكل منها بقدر ما يريد، وينتظر مرة أخرى اشتعال الحريق.

كذلك كل لئيم جبار، يسعى إلى اشتعال النار بين الأهل والخلان، فيتناحرون بلا سبب، ثم ينتظر الناجى منهم وقد أنهكه التعب، ثم ينقض عليه قبل أن يخمد اللهب، فيلتهمه بلا تعب ولا نصب ﴿ كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٦٤ ﴾ (المائدة ٦٤)



الشبنم (الخجول القاتل)

الشبنم، كبير الحجم لا يطير، ولكنه جد خطير، يأكل كل ما هو صغير، قوى المخلب والساق، وعلى رأسه واقٍ، يكسو وجهه الحياء والخجل، فإن تغير مزاجه قتل، فكأن خجله استدراج، ليوقع الفريسة فى الشباك.

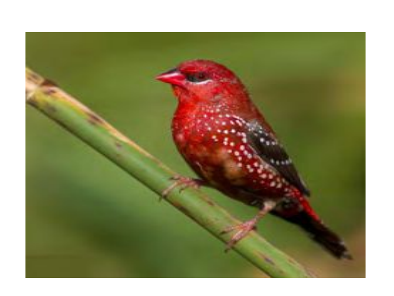
فلا يغرنك من يظهر الحياء والخجل، ليستجدى بحيائه قلوب البشر، فربما كان قاتلا خلف حيائه يستتر، فمن تقرب إليه قُتل، وبسيف الغدر طُعن، ثم يخرج على الناس بوجه يكسوه الخجل، وكأنه ما غدر وما قتل. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (المنافقون ٤)

الحسون



الحسون، صغير رقيق، رشيق أنيق، دائم التغريد، وإن كان فى التحليق، يعيش فى جماعة، ويسهل خداعه، لأنه ضعيف، ولا يعرف أعداءه، فيقع فى الشرك، ظنا منه أنه الفرج، فقلت الأعداد، وأشك على الانقراض، فلا جماله له شفع، ولا حسن ظنه بغيره نفع.

كذلك كل أبله قليل العقل، غره القول وجمال الشكل، ترك الفكر، وأصغى إلى النقل، ظنا منه أن فيه نجاته، ولا يعلم أنها نهاية حياته، فلما علم الحقيقة، وهم أن ينطلق، لم يستطع فقد وقع فى الشرك، فلا بلاهته تشفع، ولا علمه بالحق ينفع، فإما الأسر فى قفص، وإما الموت فى كمد، وإما العيش فى قلق، قال تعالى مخبرا عن إبليس: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ ﴾ (إبراهيم ٢٢)



عصفور الزينة

عصفور الزينة، شديد الجمال، رائع المنظر، بديع الألوان، ولكنه حبيس محاط بالجدران، لا يقوى على مغادرة المكان، يرضى بالقليل من الفتات، لتعينه على مواصلة الحياة، إلى أن يستطيع النجاة، يطلق أعذب الألحان، فتشجى السامع ولا يدرى بأنها أحزان، فإن استطاع الفرار فر وطار بعيدا عن السجان، فلم يقو على جلب الطعام، فما اعتاد الحياة خارج الجدران، ولكنه غرد فرحا بالحرية، وآثر الموت حرا على ذل العبودية، فمات حرا، والعجيب أن بكى عليه السجان.

هكذا كل حر، يؤثر الموت على العيش فى قبضة السجان، ويأبى الحياة إن كانت فى ذل وضعف وهوان، ويؤثر الحرية، وإن اقتضت التعب والنصب، ويرفض العبودية وإن ذاق من النعيم الألوان، فطالب العبودية سيبقى وإن تهدمت من حوله الجدران، وطالب الحرية سيخرج يوما وإن أحكم قبضته السجان ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾ (الإسراء ٨٤)



أبو فصادة

أبو فصادة، حجمه ضئيل، وذيله طويل، وشكله جميل، للطيور أمير، يهز ذيله حين يسير، ويشدو بصوته حين يطير، شجاع لا يخشى الخطر، يرقب الصياد فى حظر، فإن وجده طار، ثم دار حول الشجر، لينذر الجميع باقتراب الخطر، فمن أجابه نجا، ومن عصاه وقع فى الحظر.

كذلك كل أحمق يشغله اللهو عن الحذر، ويأبى أن يستجيب للنذر، يندم ثم يضطرب حين يداهمه الخطر، فلا مفر يومئذ من مجريات القدر، فسوء المنقلب جزاء من تماروا بالنذر، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم بَطۡشَتَنَا فَتَمَارَوۡاْ بِٱلنُّذُرِ ٣٦ ﴾ (القمر ٣٦)



الحداية

الحداية، ممشوق القوام، طويل الريش، سليل الصقور، قوى المنقار، يصيد الماشى والزاحف والطائر، آكل للجيف، قمام رمام، فوق مواقع الزبل حوام، سارق خطاف، يكنى أبو الخطاف، كثير الإذاء، يكرهه البشر، فلما علم كرههم حلق فى العلياء، خوفا من بطشهم.

فلا تحسبن كل عال عظيم، فقد يكون علوه هروبا، وتحليقه خوفا، ونظراته تلصصا، ولفتاته ترقبا، فإذا رآك عنه غفلت، نزل من عليائه وعليك انقض، ثم حلق مرة أخرى ليتحين الصيد. قال تعالى: ﴿ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ﴾ (النساء ١٠٢)



مرشد العسل

مرشد العسل، صغير الحجم، باهت اللون، ضئيل الجسم، متطفل، يلقى بيضه فى عش غيره، فيخرج فرخه ويقتل مضيفه، أو يفسد بيضه، ليعيش وحيدا وينعم فى خيره، ولا عجب بأن له مع الإنسان عمل، يطلق صوته ليدله على موقع العسل، ليقتل النحل، ويخرب البيت، ويجنى العسل، فإذا مضى شرب المرشد البقية، وأكل شمع الخلية، فمن أجل شربة عسل؛ يسعى لغيره بدنو الأجل، ومن أجل لقمة؛ يقتل أمة، فلا عجب فى أن يترك فرخه فى عش غيره، فإنما يريد أن يحلق وحده، ولو على أجساد غيره.

هكذا كل أنانى له فى عيشه حيلة، يفسد بها عيشة غيره وإن كانت جميلة، ويتبعه حمقى ما لهم حيلة، وإنما للحصول على الفتات، وإن كانت قليلة، وابتغاء للحياة، وإن كانت قصيرة، وسعيا للعزة بوجوه ذليلة، ولا يعلمون بأن الأيام قليلة، وأن العمل للعيش خير وسيلة، فالأنانى إن وجد غيرهم تركهم، وما للحمقى بغيره للعيش دليل ولا وسيلة.

قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾ ﴾ (فاطر ١٠)

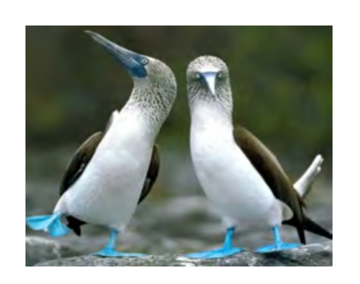


الطنان

الطنان، حجمه صغير، جسمه ضئيل، ريشه جميل، وألوانه كثير، للأمام وللخلف يطير، وعلى الماء لا على الأرض يسير، يطن بجناحيه فيدوى فى الأفق الطنين، سريع كالسهم المارق، جرىء كقوى خارق، لا يخشى عدوا، وإن كان صقرا، يهجم ولا يرجع، وإن كان عدوه أكبر حجما.

فلا يغرنك الرقيق ضئيل الحجم، فقد يظهر القوة عند الحزم، فلا الرقة علامة للجبن، ولا الجمال علامة للضعف، ولا الغلظة علامة الجرأة، ولا القبح للقوة وصف، فكم من رقيق انتصر بالهم، وكم من غليظ قتله الوهم.

قال تعالى﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ ﴾ (الفتح ٢٩)



الأطيش

الأطيش، ساحر الألوان، قدماه زرقاوتان، يبيض فى الصخر، ويألف البحر، غواص ماهر، ولكنه أخرق، يندفع فى الماء للصيد، فيصطدم بالصخر وقد يغرق، تفسد الطيور بيضه، وتمص دمه، وتخرب بيته، فينظر لها ولا يتحرك، وهو فى النظر إلى قدميه مستغرق، فأسموه الأطيش، لأنه لا يرد عدوا، ولا عن نفسه يدفع، إنما يغرد وأفنانه تسمع، فهو فى البر والبحر والجو أخرق.

هكذا كل مندفع لا يعلم العاقبة، ولا ينظر إلى الأمور بعين ثاقبة، يكذب عينيه وأذنيه، وللناصحين لا يسمع، حتى إذا أحاط به الخطر عن نفسه لا يدفع، ظنا منه بأنه الخير، فيسلم له ويقنع، فإن تيقن أنه الهلاك، فلا نجاة له وإن أسرع، فلا تبكين على كل أحمق أخرق، نفسه فى الهلاك أوقع، فكل داء له دواء، ولا دواء مع الأحمق ينفع.

قال المتنبى:

كلِّ داءٍ دواءٌ يُسْتَطَّبُّ به   إلَّا الحماقةَ أعيتْ مَن يُداويها



المحاكى

متوسط الحجم، رمادى اللون، مألوف الشكل، جميل الصوت، يحنو على أفراخ جنسه، وإن لم تخرج من بيضه، فيحرسها فى عشها، حتى تأتى أمها، مقلد قدير، لكل أصوات الطيور، ولكل صوت عنده هدف، ولكل تقليد غاية، فعند الوصال غناء، وعند الدفاع صفير، وعند الهجوم زجر، فإن راق البال، واستقر به الحال ، طار يغرد فى ليالى القمر.

فكن كما يكون لك الناس، رحيما عند الوصال، شديدا عند الدفاع، قويا عند النزال، فإن استقر بك الحال، فابحث فى نفسك عن مواطن الجمال، هكذا يكون الرجال.سئل رسول الله ﷺ «**مَا الْجَمَالُ فِي الرِّجَالِ؟ قَالَ: «اللِّسَانُ»**» (رواه الحاكم فى المستدرك)



الدرونجو (الطائر اللص)

الدرنجو، أسود الوجه، أحمر العين، شرس الطباع، لا يخشى من الطير حتى السباع، ولكنه لص يهوى حياة الجريمة، ويرفض العيشة الكريمة، فيأخذ ما ليس له بحق؛ ممن هو به أحق، ويلجأ لفعل ذلك بالحيلة، فيقلد صوت سباع الطير، ليوهم الضحية بقربهم فتفر، تاركة طعامها لتنجو بحياتها، فإن ذهبت فعلى طعامها ينقض، فإن عاودته قاتل بشراسة، ظنا منه بأنه به أحق.

فإن رأيت من ينتزع ما ليس له بحق، ثم يتفاخر بأنه به أحق، بل ويجور على صاحب الحق، ويقول عليه ما ليس بحق، فاعلم أن لص مخادع لا يهمه إلا نفسه، وإن خدع بلحن القول غيره، قال تعالى: ﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾ (محمد ٣٠)

حيوانات المزرعة



الثور

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ﴾ (الأنعام ١٤٤) الثور، زعيم الأبقار، إذا أبصر ثار، وإذا أغمض دار، تتبعه الأبقار فى ثورته ، ظنا منها أنه قائد مغوار، و تتركه فى دورته ، فيدور حيثما دار، فى زمن الحلم يثور، وفى زمن القوة يدور، وفى زمننا ثارت ثيران كثيرة، وتبعتها أبقار غفيرة، فلما ضاق الحصار، وتم ذبح الأبقار، ارتعدت الثيران، وعادت إلى الحظيرة، وبقيت برغم إبصارها ذليلة، تبدى الندم، وتقر بأن الذل فضيلة، فقيل: ما أنتم؟ قالوا: نحن أبقار لها قرون طويلة، قال تعالــى : ﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَـٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ (البقرة ٧٠)



الجمل

قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ ﴾ (الغاشية ١٧)، الجمل، عظيم الخلقة، دائم النفع، رفيق فى السفر، صديق فى الحضر، دائم النصب، لا يشكو من تعب، لا يكل من حِمل، ولا يمل من عمل، شديد الأدب، لا يأتى ناقته إلا فى حُجب، يرعى الفحل القطيع، فيسهر على الكبير ويحن على الرضيع، تختاره الرعية للقيادة، لتحمله البلاء وتبعات السيادة، هذا إن صح فى الرعية سلامة الاختيار، فإن فسدت نبذته، وآثرت عليه الحمار، فما العيب فى الراعى، وإنما فى الرعية وسوء الاختيار، قال تعالى: ﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (آل عمران ١١٧)

الكبش



قال تعالى: ﴿ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ (الصافات ١٠٧)، الكبش، زعيم الغنم، كبير القرن، شديد النهم، كثير السفاد، قليل الوداد، لا يصلح إلا للاقتياد، يتباهى بقرنه، ويرى فيه علو شأنه، فبه ينطح، وبه يربح، فإذا عدا الذئب جرى، واختفى بين الغنم وانزوى.

هكذا الجبان يتجرأ على الصديق، وينكل عند العِدا، قال تعالـــى: ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (البقرة ٢٤٦)

الغنم



قال تعالى: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (الأنبياء ٧٨) الغنم، تربى لتذبح وتسمن لتؤكل، مالها حرمة لمكان، أينما وجد العشب رعت، وإن فُقد؛ لأرض أخرى مضت، ترعى جميعا عند الأمن، وينجو كل بنفسه عند الخوف، ولا يأبه لهلاك غيره، يسوقها الراعى حيث أراد، وتتبعه جميعا بلا اعتراض، فأمنها فى وجود الراعى وما يتبعه من كلاب، يأتيها بطعامها، إلى أن يسلبها حياتها، ثم يسلخها وينزع جلودها.

فإن رأيت أقواما لا تأبه إلا لعيشها، وإن كان بهلاك غيرها، إلى القوة يهرعون، وعند السطوة يتفرقون، فإنما هم أغنام يعيشون على السلب، وينعمون بالعبودية فى حراسة كلب.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (العنكبوت ١٧)



التيس

فوضوى، لا يهدأ له بال، شهوانى، لا يستقر بمكان، يتبع الإناث، حيثما تكون كان، فينزو عليها بقدر ما يستطيع، ثم يهيج ويقفز ويثير الرعب فى القطيع، ولا يحمى أثنى ولا يعول الرضيع.

فإن أدركت قوما يعشقون الفوضى، ويتباهون بالكسل، تسوقهم النساء، فيتبعونهن بلا جدل، فإنما هم تيوس لا خير فيهم ولا أمل، إن شاغلتهم أنثى سال لعابهم وتركوا العمل، فإنما سبيلهم إلى هلاك وإن طال الأجل. قال رسول الله ﷺ: «**لنْ يُفْلحَ قومٌ وَلَّوْا أمرَهُمُ امرأةً**» **(البخارى فى صحيحه)**



الخيل

قال تعالى: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (النحل ٨)، الخيل، قوة وجمال، وأصالة ودلال، وصبر على الأحمال، عدة فى الحرب، وزينة فى السلم، ووفاء للخل، ترنوا فترنو معها الروح، وتخطوا فيدق لخطواتها القلب.

فكن كالخيل، لك فى كل وقت تجل، وفىٌّ للخل، فارس وقت الحرب، جميل وقت السلم.

قال رسول الله ﷺ: «**أَنَا حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ، وَسَلْمٌ لِمَنْ سَالَمَكُمْ**» **(رواه الحاكم فى المستدرك)**

البغل



قال تعالى: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ (النحل ٨) البغل، الحمار له أب، والفرس له أم، فكان القوة بلا عقل، فما له أصل، ولا له نسل، فلا نسب يدعوه للفخر، ولا عقب يبقيه للذكر، ولا يصلح إلا للجر، فإن ظن أنه فرس نبذته الخيل، وإن عاد للحمير، سودته عن جهل، فكان للخيل ذليلا، وللحمير إماما ودليلا، فغاية الحمار أن يقوده بغل، فينعم بقوته، وإن كان بلا عقل، ويعيش في كنفه، وإن أذاقه الذل، وغاية الخيل، الجمال والعدل، ولذا أبت قيادة البغل، فاختارها الله مطايا لفرسان الحق، حتى إذا أظهره ؛عرف كل قدره، فعادت القيادة للخيل، واشتاق الحمار للذل، وعلم البغل بأنه بغل، عن النبي ﷺقال «**مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين ، تعير إلى هذه مرة ، وإلى هذه مرة ، لا تدري أيهما تتبع**» وقال تعالى: ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ ﴾ (النساء ١٤٤)

الحمير



قال تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ ﴾ (المدثر ٥٠-٥١)، تعقيبا من الله تعالى على قولهم: ﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (المدثر ٤٥-٤٦) فلا رأى لهم وإن كانوا متكلمين، ولاهدف لهم وإن كانوا متجهين، ولا دين لهم فقد كذبوا بيوم الدين، وعاشوا فى زمن الحِلم فاسدين، ولما رأوا القوة تفرقوا فزعين، وابتعدوا صامتين، فالخوف دأب الحمير، وهنا يكمن سر التشبيه الجليل، فلا يسير الحمار إلا بالضرب، وإن كان بالتكرار يهتدى للدرب، وأما الجحش - وهو ولد الحمار- ، فلا يستجيب لضرب، ولا يهتدى أبدا لدرب، وإنما يتبع الحمار، أينما يسير خلفه سار، فغاية الجحش أن يكون بغلا أو حمارا، والبغل هو رمز القوة، ومنتهى أمل الحمار، وقد أخطأ من شبه الهمج من الشعوب بالحمير، فالحمار مرحلة أرقى تطورا من هذه الشعوب، إلا نخبة قد تساوت فى فكرها مع فكر الحمير، وبغال بالعنفوان والقوة للأمور تُدير، فإنما هم جحاش تسوقهم حمير، ويقودهم بغل، فما لهم فائدة إلا الزينة لتزيين الفساد فى القلوب،

والركوب ليصل البغل إلى المطلوب، وصدق الله تعالى حين قـــــال: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ **(النحل ٨).**

و قال تعالى: ﴿ كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ (الجمعة٥)، مثل ضربه الله لأحبار بنى إسرائيل، لأن الحمار لا يعرف ما يحمل، ولا ينتفع به، وإنما ينقله إلى حيث أراد من يسوقه، فيتساوى عنده الزبل مع الزهر، والخير مع الشر، فلا فرق بينهما إلا فى ثقل الحمل، والحمار جهورى الصوت قبيحه، يؤذى الآذان عند سماعه، والحمار شهوانى شبق، إذا استحكمت فى الشهوة، أتى أنثاه فى قارعة الطريق، ولو كان هناك من يمتطى ظهرها، أما الجحش فإنما يستمتع بما يراه من الحمار، فحال الأحبار وهم النخبة، كمثل الحمار شهوةً؛ فينادون بالعراء، وصوتاً؛ فيجهرون بما يؤذى الآذان، ومثل من يتبعهم كمثل الجحش يجرى خلف الحمار، قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ ﴾ (الأحزاب ٦٧)، ولذا قال رسول الله ﷺ: «**وإذا سمعتُم نَهيقَ الحِمَارِ فتعوَّذُوا بالله من الشيطانِ، فإنها رأتْ شيطاناً**» (رواه البخارى فى صحيحه) فنعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ونعوذ بالله من صوت الحمير، وصدق الله حين قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾ **(لقمان ١٩)**



الأرنب

جميل صغير، كثير الشعر، كثير النسل، سريع العدو، ناعم كالحرير، شديد الجبن شديد الحذر، يسكن فى نفق، ولا يخرج إلا فجرا أو فى وقت الشفق، إما خوفا وإما للحذر، لا يفكر إلا فى الهرب إذا ما العدو منه اقترب، ولذا كثر عليه الطلب، فصار فريسة لسباع الطير، وسباع الأرض، وكل من أراد الصيد، لأنه إما هرب وإما عنهم احتجب، فإن لم يصيبوه، أمنوا ردة فعله والغضب.

هكذا شأن الجبان إذا واجه عدوا اضطرب، ولم يفكر إلا فى الهرب، إن علم مدى قوته ارتعد خوفا من بطشه، وإن علم فيه ضعفا ابتعد، عله يقوى على مثله، ولو واجه العدو يوما لوجد الحال قد انقلب، فما أصبح القوى قويا إلا بخوف الجبناء، والهروب عند النزال، والاعتماد على الأنذال.

فإن أدركت قوما يتكلمون من بعد، ويتلاشون القرب، ويهابون القوة، ويهربون عند القسوة، إذا كلمهم القوى صدق، وإذا نصحهم

الضعيف فسق، فاعلم أنما هم أرانب تستحق العيش فى نفق، فإذا انقضى عيشه، فى الظلام؛ نفق. قال تعالى: ﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ (الحشر٢)

الخنزير



قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ والدم ولحم الخِنزِيرِ ﴾ (البقرة ١٧٣)

الخنزير، مسخ، قبيح الشكل، نهم كثير الأكل، شاذ ويعشق الزبل، وإن كان لعشقه لها نفع، لا تعرف له أنثى، فكل لأنثى غيره بعل، مخطئ من ظن أن اليهود له أحفاد، وإنما غضب الله عليهم، فأورثهم ما به من صفات.

فإن رأيت قوما جملوا قبيحهم، وقبحوا جميلهم، شواذ فى الفكر، يعشقون الشهوات، وينهمون الأكل، فاعلم أنهم خنازير يعيشون فى الزبل. قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ ﴾ (المائدة ٦٠)



الكنغر

الكنغر، مسخ ما بين الأرنب والجرز، أرجل قصيرة، وأخرى طويلة، كثيف الذنب، سريع الهرب، سباح ماهر، حفار باهر، قفاز ساحر، يحمل ولده فى جراب، وينتقل به بين الغاب، فإن شعر بأن الخطر أحاط به، أفرغ جرابه، وألقى فى العراء ابنه، لينجو بنفسه.

هكذا كل محب للحياة، يضحى بأعز ما عنده للنجاة، ظنا منه بأنه باقٍ إلى الأبد، ولا يعرف بأن الحياة لها أمد، إذا أتى لن ينقذه أحد، فعاش وحيدا بلا معين ولا سند، فقصرت بالوحدة حياته، وطال عمره لمن عاش لغيره. قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ أَوْ يُنْسَأَ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**» (مسلم فى صحيحه)

الضفدع



قال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ (الأعراف ١٣٣)

الضفدع، جلده سميك، وصوته نقيق، يطرب الآذان، وليس برقيق، ينادى به أنثاه، ويناجى به الإله، ويفرض نفوذه وإلى أى مدى منتهاه، وبعدما ينزو على أنثاه، ويطمئن إلى عقبه، يحفر بيديه قبره، ثم ينزل لما حفرت يداه، فإن عاد شكر الله على بعثه إياه، وإن مات فقد أتم مهامه فى الحياة، فهو مثل حى على أن بعد الموت حياة

فكن كالضفدع، يملؤك الأمل، وطالما حييت فعليك بالعمل، فإن أديت ما عليك وإلى ذويك أحسنت، وإلى الله أنبت، فلا تخشى دنو الأجل، فأبدا لا يباغت الأجل من أحسن العمل. قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ (الكهف ١١٠)



الكلب



قال تعالى: ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَث ﴾ (الأعراف ١٧٦) الكلب، رمز الأمانة والصدق، والوفاء بالعهد، ولكن بغير الحق، فما وفى إلا لمن أظهر له الود، وما ضمن الوفاء إلا لصاحب العطاء، يعطيه الظالم فيعينه على الظلم، ويعطيه العادل فيعينه على العدل، فما تبع إلا هواه، يلهث عند المنع بغية العطاء، ويلهث عند العطاء بغية الزيادة، فاللهث صفة الكلاب، فهو خائن وإن وصف بالوفاء، فإنما ولاءه لمن أعطى ولو كان من الأعداء، وما أكثرهم فى هذا الزمان، وإن نسبوا لبنى الإنسان، فظاهرهم الصدق والوفاء، وباطنهم الغدر والعداء، فإن كان لكل زمن ما يعرف به، فلعلنا الآن فى زمن كثرت فيه الكلاب، وانخدع فيهم الأوفياء، فاتبعوهم وما تبعوا إلا السراب، ولعلم رسول الله ﷺ بذلك، أمر بقتل الكلاب، إلا إن كان ذا نفع، فينتفع به ولكن لا يعدو عن كونه كلب.
قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْلَا أَنَّ الْكِلَابَ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ لَأَمَرْتُ بِقَتْلِهَا، فَاقْتُلُوا مِنْهَا الْأَسْوَدَ الْبَهِيمَ**» (أبو داوود فى سننه)

الهر



جميل نظيف، كثير الشعر، كثير النوم، قليل الحركة، يعشق الليل، لطيف حذر، ولكنه أحيانا غدر، فى أعماقه وحشية، بها يصيد ويفترس، وفى ظاهره ألفة، بها يلاطف ويأتنس، فإن لاطفته عاملك بالظاهر، وإن أغضبته أظهر ما يخفى عن الناظر، وإن راقبته أظهر الأمان، وإن غفلت عنه سرق وخان

فإن رأيت قوما إن خافوا يظهرون المحبة، ويخونون إن شعروا بالأمان، يلاطفونك فى الوجه، ويطعنونك فى الظهر، فاعلم بأنهم قطط تأخذ منك الحذر، فارتقبهم وخذ الحذر، فإن من أمنك منهم غدر. قال تعالى: ﴿ يُخْفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ﴾ (آل عمران ١٥٤)



الديك

الديك، جميل الشكل، قوى الصوت، بهى الطلعة، كثير الزواج، يزهو بنفسه، لا يحب الشراكة،فإن وجدها اقتتل، ولا يعرف إلا ملكه، فإن خرج عنه ضل، تملأ قلبه الشجاعة، يحسن إلى الرعايا، ويوفر لهم الحماية، ، فإذا ما داهمهم عدو، هجم بقوة جاسرة، مع علمه بأنها معركة خاسرة، فالموت عنده فى شرف، خير من الحياة فى ترف، فإذا نجا من الموت حمد الله، ثم أذن فى الفجر ليوقظ الغافلين للصلاة.

هكذا كل شجاع جسور، يأبى العيش فى ذل، وإن كان فى القصور، ويؤثر العيش فى عز، وإن سكن القبور، يدافع عن خاصته، وإن كانت فيها نهايته، فالموت فى سبيل الحرية والحق؛ أفضل عنده من العيش فى ذل العبودية والرق. قال رسول الله ﷺ: (**لا تَسُبُّوا الدِّيكَ، فَإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلاةِ**) (أبو داوود فى سننه)



الخفاش

الخفاش، قاهر الظلام، ومعلم الأنام السير فى الظلام، قبيح منظره العام، يلد ولا يبيض برغم الطيران، أقصته الطيور لعدم بيضه، ونبذته الثدييات لطيرانه، وأقصاه الإنسان لقبحه، ولم يلتفتوا إلى نفعه، فمخرجاته للأرض سماد، وطيرانه تلقيح للثمرات، وصيده الحشرات قضاء على الآفات، فلما علم ظلمهم وشدة مكرهم، آثر البعد عن ديارهم، واختار الكهوف والمغارات، وفضل العيش فى جماعات، يشاركونه قبح المنظر وجميل الصفات، ثم نام بالمقلوب، ليعلمهم بأن الاعتدال غير مطلوب، فإذا هدأ الأنام، وتهيأ الكل لينام، عاد فشق طريقه فى الظلام.

فكن كالخفاش، كثير النفع قليل الكلام، واترك أعداء النجاح، واسعى دائما إلى الفلاح، فإن سُد عليك ضوء النهار، فعليك بشق طريقٍ للنور فى دياجير الظلام، واعلم أنه لن يصيبك إلا ما كتب الله وإن اجتمع عليك الأنام.

قال تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ (التوبة ٥١)

حيوانات الغابة

الأسد



قال تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ ﴾ (المدثر ٥٠ : ٥١) الأسد، ملك لا يعرف الملك، شديد الكسل، قليل العمل، تخدمه اللبؤات، بإطعامه وإشباع الرغبات، فيأكل الطيب من اللحم ويترك الغث والفتات، قل ما يخرج للصيد، نال الملك بخوف الرعية، وإن كان لا يرعى إلا خاصته، فإن شغلت اللبؤات بالأشبال وجاع ؛ أكل رعيته.

فإن رأيت ملوكا، لا يعرفون من الملك إلا اسمه، ومن صفاته إلا الملذات، ومن تبعاته إلا الشهوات، يشبعون وشعوبهم جائعة، ويكتسون ورعاياهم عارية، بالقوة يحكمون، وبالخوف يسودون، تتعالى بمدحهم الصيحات، وتنسج حولهم الهالات، فاعلم أنها هم أسود ترعاهم لبؤات. قال تعالى: ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (النمل ٣٤)



الفهد

الفهد، جميل رشيق القد، أسرع عداء على وجه الأرض، قلما يفلت منه الصيد، فإذا تمكن من الغنيمة، نازعته الضوارى والكواسر اللئيمة، فآثر السلامة وترك الغنيمة، فعاشوا بصيده وطال بهم الأمد، وقل بتركه وأوشك أن ينقرض، لأنه مسالم فى عالم الغاب، والسلم فى عالم العنف عذاب.

فإن رأيت أقواما يؤثرون أنفسهم بغير حق، بل وينازعون أصحاب الحق، حتى إذا استأثروا بالغنيمة، اتهموا أصحاب الحق بالجريمة، فاعلم أنهم ضوارٍ يلهثون خلف الغنائم، فإن رأوها؛ قتلوا الواقف والهاجع والنائم، ثم اتهموهم بسرقة الغنائم، قال تعالى: ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ ﴾ (محمد ٣٥)



الذئب

قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ (يوسف: ١٣).

الذئب، جميل شرس، ذكى مفترس، فلا يلهينكم جماله عن شراسته، وفىٌّ لإلفه، غادر بغيره، علم ضعف قوته، فاستعان على الصيد بعصبته، فلما وقعت فريسته، مضى كل بحاجته، برأه الله فى القرآن من دم الصديق، فكان أول سفاك دم برىء، وأحل له رسول الله ﷺ نهبته، فكان أول لص شريف.

أما فى هذا الزمان، تجمعت الذئاب من بنى الإنسان، فلما وقعت فريستهم، تنازعوا فى أمرهم، واقتتلوا فيما بينهم، وأكل قويهم ضعيفهم، وغدروا بإلفهم، وخانوا عهدهم، ففاقوا الذئب شراسة، ولم يضاهوه جمالا وحيلة، ولذا برأه الله فى القرآن وأدان الذئاب من بنى الإنسان، قال تعالى: ﴿ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (يوسف ٧٧).



الثعلب

الثعلب، أمير الدهاء، شديد المكر، شديد الذكاء، يمشى الخيلاء، شديد الحذر، يتماوت عند الخطر، فإذا ذهب وثب واستتر، ينشد الهدف بكثرة الحيلة، ولا يهمه نبل الوسيلة، يرهب الصغير ويداهن الكبير ويخشاه، حتى يصل لمبتغاه، يتباهى بفكره، ولا يعجبه إلا رأيه، فإن جاع الأسد، فلا ينجيه فكر، ولا ينفعه حذر.

فإن رأيت من يقوى على الصغير لضعفه، ويخشى الكبير لسطوه، ولا يعجبه إلا رأيه، فإنما هو ثعلب حباه الكبير لنفسه، و أطلقه على عدوه، حتى إذا دنا يومه، أسن الأنياب لأكله قال تعالى: ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ﴾ **(فاطر ٤٣)**.



الضبع

الضبع، أحدب قبيح المنظر، أعرج قبيح المشية، كثيف الشعر، مزعج الصوت، كريه الرائحة، شديد النهم، قليل الصيد، آكل للجيفة، صديق للبيئة، من الطوافين بالليل، وكأنه يفعل الخير فى السر، ليس بسبع، ولا يخشى السبع، يأكل ما لا يأكله السبع، يبغضه الناس لقبح المنظر، رمز للخسران ، فمن عاد بخيبة ضبع، ومن عاد بغنيمة سبع، فظلموا الضبع برغم نفعه، ونصروا السبع برغم ضرره، هكذا الناس يعظمون القوى، وإن كان بلا نفع، ويسفهون الضعيف وإن كان صاحب نفع، فلا يغرنك الضعيف قبيح المنظر، فلعل فى ضعفه الخير، ولا يغرنك القوى وإن تجبر، فالقوة بلا عقل محض شر، فكن ضبعا إذا أردت النفع، ولا تكن سبعا بلا نفع، قال رسول الله ﷺ «**خير النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ**» **(رواه الطبرانى فى الأوسط)**.



النمس

النمس،شجاعة ما بعدها شجاعة، وسرعة وخفة، وقوة قبضة، لا تخيفة سطوة، ولا ترهبه قوة، يخشاه كل صاحب ناب ومخلب وخف، بل ويعتريهم عند رؤيته الخوف، يهاجم أعداءه بلا خوف، ولا يهجم أبدا من الخلف، لم يعرف أبدا طعم الهزيمة ، فإما الفتك بالفريسة، وإما انسحابها من أمامه ذليلة، يمشى فى الغابة مزهوا بنفسه، بما وضع الله من شجاعة فى قلبه.

كذلك كل من يدافع عن الحق، لا يخشى أحدا من الخلق، ولا ينظر إلا إلى الله الواحد الحق، يتلاشاه كل فاسد وظالم، فلا يملكون لمواجهته حيلة، فيدبرون له المكائد، وينصبون له المصائد، فلا يكتم أبدا قوله، بل وينطق بالحق بعلو صوته، لعلمه أن الله دائما بجواره، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ (آل عمران ١٧٣).



الظربان

الظربان، قصير مفترس، حاد شرس، قوى المخلب، يضرب ولا يهرب، ويهجم فلا يرجع، انفرادى تستهويه الوحدة، يتجول ليلا وحدة، ينقب فى الحجور، فيأكل ما فيها من صغير أو كبير، ويأكل الحشرات والنباتات والجذور، وحتى بيض الطيور، فإن وجد من يفوقه قوة، أدار له ظهره، وأخرج له فسوه، فهرب من نتن ريحه، ولم ينظر أبدا خلفه، فإن شعر بالملل، ولم يشبعه ما أكل، هرع إلى خلية فهدمها، ثم أكل نحلها وعسله، فلا عجب أن يعيش وحده.

هكذا كل سفاح، يخشى الظهور، ويستهويه الظلام، ويرهبه النور، يخشاه - إن وُجدوا- الأصدقاء، ويترقب ظهوره الأعداء، فعلم بأن الليل له ستار، وأدرك الخطر فى ظهوره فى النهار.ولكن فليعلم كل ظالم جبار، بأنه مهما طال الليل فلابد أن ينجلى بنهار ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ (القصص ٧١).



ابن عرس

ابن عرس، صغير الحجم، برىء الوجه، قصير ولكنه خطير، قاتل شرس، ولص مختلس، ومراوغ محترف، سريع الهرب، وعند الخوف لا يضطرب، لا يرحم صغيرا، ولا يخاف كبيرا، يهاجم على الدوام، فالكل له طعام، فإن شبع قتل لعشقه للقتل والانتقام، فإذا انبثق النهار اختفى، وعاد ليسفك الدماء فى الظلام، فبرغم براءة وجهه إلا أنه حوى كل صفات الإجرام.

فلا يغرنك القصير، فقد يكون عنده من المكر الكثير، ولا يغرنك برىء الوجه، فيلهيك عن سوء الفعل، واحذر ممن يخشى ضوء النهار، وارتقب غدره عندما يعم الظلام، فالليل ستار، لكل ظالم وغدار. قال تعالى: ﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ (النمل ٥١).



وحيد القرن

الكركدن، قوة بها لا يستهان، سرعة رغم الثقل، وجرأة وقوة بنيان، يعرف مدى قوته، فيستمد منها جرأته، فإذا انطلق ما من أحد يوقفه، ولكنه للأسف قصير النظر، يهجم أولا، ثم يتبين الخبر، فإن كان صديقا فقد انتهى، وإن كان عدوا فقد انتصر، تعشقه الكثير من الحشرات، لتتغذى من جسده على الفتات، فإذا كثرت به الآفات، ترك الطيور فتلتقط هذه الحشرات.

هكذا كل قوى قصير النظر، يضرب ثم يتبين الخبر، فإن أصاب فقد انتصر، وإن أخطأ أخفى الأثر، ويصحبه كل ضعيف يشعر بالهوان، عله يلقى فى كنفه الأمان، فإذا انتبه القوى لغيِّهم واستبان، تركهم صيدا لغيرهم، ففقدوا فى ظله الأمان. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ (هود ١١٣).



الدب

ثقيل الوزن، خفيف الحركة، قوى البنيان، سريع العدو، طيب الملامح شرس الطبع، إن تجاهلته تركك، وإن واجهته قتلك، فلا يلهينك جمال منظره عن شراسة طبعه.

فإذا رايت قوما جميل قولهم، قبيح فعلهم، طيبة ملامحهم، شرسة طباعهم، فلا يلهينك جمال قولهم عن سوء فعلهم، ولا طيبة ملامحهم عن شراسة طباعهم، فإنما هم دببه، ويظنون أنهم ملوك، إذا أسلمت لهم سلبوك، وإذا واجهتهم قتلوك، قال تعالى: ﴿ يُخْفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ﴾ (آل عمران ١٥٤).



فرس النهر

فرس النهر، عملاق البر، وسيد النهر، آكل للعشب، خطير ولكنه لطيف، سئم ظلم البر، فغاص فى عمق النهر، لا يخرج إلا للأكل، خشى خطورته على غيره، فآثر الانفراد بنفسه، ليكفى الجميع سوء شره، فعاش فى وحل النهر، خير من عيشه على ظلم الغير.

هكذا كل صاحب ضمير حى، لا يهنأ بالعيش، إن كان فى وجوده للآخرين ضير، وإن كان بغير قصد، فيؤثر السلامة، إما بالتغيير أو البعد، فينال الحب بعد الفقد، ويحظى بالود بغير جهد، ومن لم يشعر بظلمه الغير، ويهنأ بعيشه وإن ضر ، فهذا لا ضمير له، وعيشه ضير فى ضير، قال تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (الحشر٩).

الفيل



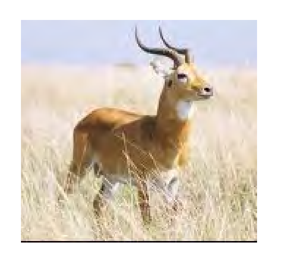
قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ ﴾ (الفيل ١) الفيل، رمز القوة والرشاقة، والملك الحقيقى للغابة، المثال الأعظم من الله تعالى لاستخدام العقل عند القوة، والعدل عند السطوة، جاء به أبرهة الجبار، ليقود الجيش الجرار، لهدم البيت الحرام، وغرته قوته، وكثرة جنده، وعدته وعتاده، وضعف أعدائه، ولم يدر أن للبيت ربا يحميه، فما كان من أصحاب البيت إلا الدعاء، للنجاة من شر هذا البلاء، فلما رأى الفيل البيت سجد للرحمن، وعصى أوامر الشيطان، وتحمل العذاب والضرب، فى سبيل حماية بيت الرب، فأرسل الله الطير بالخلاص، فعلم الجبار أنه لا مناص، فانظر كيف هزم الله من جاء بأضخم المخلوقات وأكبرها وأقواها ، بأرق المخلوقات وأجملها وأشجاها، فهلاك أصحاب الفيل مثل لمن غرته قواه، وانتصار الطير مثل لمن تولاه الله، فالقوة ضعف إن ساندها شيطان، والضعف قوة، إن ساندها الرحمن، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ (القصص ٧٨)

الزرافة



الزرافة، أميرة الصمت، سيدة العلياء، رقة وجمال، ورشاقة وسرعة، تهابها -رغم قوتها - السباع، ولا يقوى عليها الأسد وإن جاع، تقاتل ولا تهرب، وتقتل عندما تضرب، ولا تبدأ بالقتال، ثم تخطو الأميرة فى دلال؛ عندما ينتهى القتال.

فلا يغرنك صمت الحليم عند سماعه الأذى، ولا يغرنك عفو الكريم عند أسر العدا، واحذر غضبته، فما لغضبة الحليم من مدى، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾ ﴾ (الطارق ١٥ : ١٧).



الغزال

الغزال، رقيق فى الدغل، جميل فى الشكل، رشيق القد، سريع العدو، عربى الأصل، مسالم فى عالم الغدر، يحوطة الشر من كل ثغر، يطلبه السبع وصاحب الناب وصاحب الظفر، ولا يملك إلا الفرار، ولن ينفعه فى عالم الشر، فإن فر من سباع الأرض، صادتة سباع الطير، هكذا الجمال و السلم، يخشاهما القبيح باغى الشر، فوجود الجمال يظهر القبح، ووجود السلم يظهر الغدر، ولولا الخير ما عرف الشر، فكن كالغزال فى الجمال، ولكن تحلى بالناب وبالظفر، قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡ ﴾ **(الأنفال ٦٠)**.



القردة

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا عَتَوۡاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنۡهُ قُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ١٦٦ ﴾ (الأعراف ١٦٦) تشبيه بليغ لمن ترك أوامر الرحمن وتبع وساوس الشيطان، وأتى ما نهى الله، وترك ما أمر به، وهنا يكمن سر التشبيه بالقردة، فالقرد هو أقبح الحيوانات شكلا، وأكثرهم ظهورا للعورة، بل ويعظم فى قطيعه أكثرهم ظهورا لعورته، وأكثرهم بطشا بعشيرته، فما تحولوا إلى قردة، بل سلكوا مسلك القردة، ففرحوا بظهور عورتهم، وتباهوا بها بل واعتبروا ظهورها تقدما وحضارة، وإخفاءها تخلفا ورجعية، والبطش سبيل القيادة، والحكمة ضعفا وذلة، ولذا قال لهم كونوا قردة – أى عيشوا كالقردة – فما أشبه اليوم بالبارحة، بل وأصبح العراة علية القوم، وأصحاب البطش قواد القطيع، فتفننوا فى إظهار العورة بل والتباهى بها، وتفننوا فى تبرير البطش، والحكم به، فكانوا كقطيع القردة، أكثرهم إحمرارا لعورته، أقربهم لقيادة القطيع، فإن قال داروين: بأن الإنسان أصله قرد، رددنا عليه قوله، بأن القرد أصله إنسان، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ٦٥ ﴾ (البقرة ٦٥).



الكسلان

الكسلان، غريب الشكل، عديم الذيل، أبتر الأذن، أفطس الأنف، رمادى اللون، كثير النوم، شديد البطء، قوى المخلب، لا يضرب ولا يهرب، يقتات من الحشرات على الصغير، ولا يأكل الفتات، ولا يهضم الكبير، لأنه شديد الكسل، قليل العمل، ويأكل النباتات وأوراق الشجر، لذا فالأشجار له وطن، لا ينزل منها من شدة الكسل، فإن عطش شرب العسل، سباح ماهر ولكنه قذر، قل ما يلقى نفسه فى النَّهَر، فصار كريه الرائحة يتعلق بجلده القَذَر، فأوشك على الانقراض، وصار مصيره إلى الهلاك.

كذلك كل قوم شعارهم الكسل، أهمهم الطعام والشراب، وما أهمهم العمل، وظنوا أنه بالشهوات ترتقى الأمم، فتركوا العمل، وأنغضوا الهمم، وتفاخروا بأنفسهم على الأمم، وظنوا بأن الحياة بالنوم تسير، فتأخروا وفاتهم من الخير الكثير، وأوشك نجمهم على الأفول، أصبحوا لمن كانوا هم أئمتهم كالذيول. قال ﷺ: «**اللهُم إني أعوذُ بكَ مِن الهَم والحَزَن، وأعوذُ بكَ مِن العَجزِ والكسَل، وأعوذُ بك مِن الجُبن والبُخلِ، وأعوذُ بكَ مِن غلَبَةِ الدين وقهْر الرجال**» (البخارى فى صحيحه).



التمساح

قال تعالى ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ ﴾ (النور: ٤٥).

التمساح، حيوان برمائى، يمشى على أربع، وله عين تدمع، غليظ الجلد، عظيم الفك، شديد الفتك، يفترس كل من يراه، فى البر أو فى المياه، إلا من كانت له عنده حاجة، فيفتح له فكيه بسعادة، فيتغذى على البقية من ضحايا الافتراس، وينقيها بنهم من بين الأضراس، فيصبح الطائر الصغير شريكا للتمساح فى الافتراس، ولا يأكله التمساح رغم قوته، ولا يخشى الطائر رغم وجوده تحت عظْمته، فالتمساح يقى الطائر لمنفعته، والطائر يصحبه من أجل لقمته، والغريب حين يدمع على فريسته التمساح، والأغرب أن يساعده الطائر فى الصياح، وكأنما يعترفون بالجميل، بعد أكلهما لحم القتيل، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾ (الإسراء ٣٣).

الثعبان



قال تعالى: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (الأعرف ١٠٧).

الثعبان، سريع الحركة، ناعم الملمس، شديد الفتك، قوى البنيان، يرهب الظالم، فرعون وهامان، ويخضع للعالم، موسى بن عمران، بقبلته يسرى السم فى الأبدان، وبضمته تختلف الضلوع فى الأركان، فلا قبلته حنان، ولا ضمته أمان، فلا يغرنك حنان من قتل وخان، وأسال الدم وأحرق الأبدان، فما قوله صدق، ولا فعله حق، ولا عهده أمان، وإنما هو ثعبان يبث السم بمعسول الكلام، قال تعالى: ﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (الصف ٣).

العقرب



العقرب، خسة ونذالة، يضرب ويهرب، إن قاتلته قتلك، وإن سامحته لسعك، شديد السمية، لا يعرف السماحة، يؤذى لمجرد الإذاية، ويقتل ليتلذذ بالنهاية.

فإن أدركت قوما إذا ائتمنتهم خانوك، وإذا سامحتهم قتلوك، فاعلم أنهم عقارب تبث السموم، وتمزق العروق، وتتلذذ بالدم، فاحذر عملهم، ولا تكن أبدا مثلهم، فتفعل مثل فعلهم، قال رسول الله ﷺ: «**أَدِّ الأَمانَةَ إلى مَنِ ائتَمَنَكَ، ولا تَخُنْ مَنْ خَانَك**» (**أبو داوود فى سننه**).



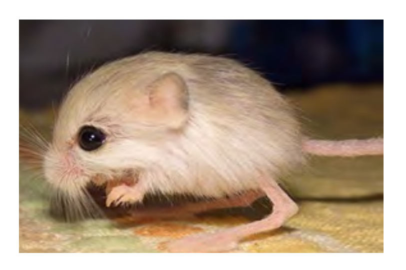
الفأر

الفأر، صغير قذر، جبان حذر، شديد الذكاء، حاد البصر، عدو للبيئة مضر للبشر، يغنيه الحذر من سوء القدر، فإن وقع فى المكيدة؛ فر الجميع واتخذوا الحذر، يحفظ مواقع الهرب، فإن فاجأته بلا تردد هرب، وإن سددتها، انفعل واضطرب، وإلى الهلاك اقترب.

فإن رأيت خرابا فى الأرض، وإضرار بالبشر، وإصرارا على الفساد، مع أخذ الحيطة بالقانون والحذر، فاعلم أنهم فئران، تعد العدة للفرار، فإن سددت عليهم باب الهرب، هاج بعضهم واضطرب.

قال تعالى: ﴿ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ (الأحزاب ١٣).

اليربوع



اليربوع، قصير مكير، سريع العدو، واسع الحيلة، دائم الهرب، لقلة حجمة وكثرة طلابه، آثر النفق طريقا للهرب، فمداخله قليلة ومخارجه كثيرة، ودروبه توقع العقل فى حيرة، فمن طلبه وأدركه قبل النفق فقد سبق، ومن تبعه فى النفق هلك.

كذلك كل زكى، واسع الحيلة، له عند الضيق مخارج كثيرة، فإن تبعه الغبى بلا تفكير، وقع فى المحظور من الأمور والخطير، وما له من مخرج فى تلك الساعة، فسوء التدبير أوقعه فى المتاهة، فما له إلا التسليم بالهزيمة، أو الموت فى المتاهة، ويا لها من نهاية ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤ ﴾ **(الكهف ١٠٤)**.

القنفذ



القنفذ، صغير ولكنه خطر، آكل لحوم وحشرات، وثمار وأوراق شجر، يسكن تحت جذور الشجر، وينشط ليلا فى وقت السحر، ويزداد نشاطا فى ليالى القمر، يحميه شوكه عند الخطر، يهاجم الأعداء بلا حذر، فإن أحس بضعف؛ فى شوكه اندثر، فلا يبين له أثر.

كذلك كل فطن حذر، يتبين من أعدائه، فيعرف مواطن الخطر، فإن وجد فيهم ضعفا هجم، وإن خاف القوة آثر الحيطة والحذر.

قال تعالى: ﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (المنافقون ٤).



السلحفاة

السلحفاة، قليلة الحركة، كثيرة العيش، قليلة الأكل، كبيرة الحجم، هدفها الحياة لا غير، وإن أصاب غيرها الضر، تلقى فى العراء بيضها، ولا تعرف أبدا صغارها، ولا تبالى إلا بنفسها، وإن هلك فى سبيلها غيرها، تخاف برد الشتاء فتختفى، وتخشى مواجهة الأعداء فتختبى، فإن أحست يوما بالخطر؛ دخلت درقها فلا يبين لها أثر.

كذلك الجبان، لا يبالى إلا بنفسه، ، إن واجه الأعداء انكمش فى جلده، ولا ينطق بالحق أبدا لينقذ غيره، بل ويدافع عن الباطل وإن هلك فى سبيل الحق غيره، فإن زال الخطر ظهر، وتفاخر بنفسه، بل وتحدث عن شجاعة فعله. فإن أحبه من هم مثله، فإن الله أبدا لا يحبه، قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ٣٨ ﴾ (الحج ٣٨).

أرماديللو (المدرع)



المدرع، قوى مدرع، شديد الصلابة، لزج اللسان، ليس له أسنان، لذا فغذاؤه الحشرات والديدان، ذو مخالب حادة، تشبه المفترسات، ولكنه مسالم، لا يدافع أبدا ولا يهاجم، فإن واجهه العدو هرب، تحت الماء،أو فى نفق، أو بين الشائك من العشب، فإن لم يسعفه الوقت، فى درعه التف، فلا يخترقه ناب، ولا يصل إليه كف.

هكذا الجبان مهما أوتى من قوة، لا يشعر أبدا بما فيه من فتوة، عند المواجهة يشعر بالخوف، إلا إن علم ما في صاحبه من ضعف، فيهجم بدون خوف، فإن تماسك العدو وأظهر القوة هرب، وإن تابعه العدو اضطرب، فوقع فريسة لجبنه، ولو ثبت لفر العدو وانقلب. قال تعال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (الأنفال ٤٥).



الضب

الضب، مسخ ما له من فائدة، انقضت أجداده فى الأيام البائدة، فانزوى فى جحره فى المفاوز المهلكة، كثير الضلال كثير الحيرة، إن خرج من بيته ضل عند المعاودة، من خشيته لأعدائه يأكل أولاده إن تحركن؛ واحدة تلو الواحدة، فلا تنجو منه إلا الشاردة، ما له من حليف إلا العقرب السوداء الفاسدة، تقبع فى جحره وله دائما مراقبة، فمن تبعه سمته وإن كانت الضحية للجحر زائرة.

فإن أدركت من يتحالفون مع قوى الشر، ليبعدوا عن طريقهم كل ناصح وبر، ويقتلون كل مناد للخير، عيشهم ضلال، وقولهم كفر، وفكرهم حيرة، وخيرهم شر، فاعلم أنهم إلى زوال، وقريبا يتجرعون من عقاربهم السم. قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ **(فاطر٤٣)**.

الحرباء



الحرباء، صغيرة الحجم، شديدة الفتك، تثبت فى مكانها، وتتفنن فى خفائها وتغيير لونها، فلا تراها عين، ولا يعرف لها أين، فإذا مر الصيد؛ عليه تنقض، وقل ما يفلت منها صيد، تتلون حسب المزاج، فتارة للصيد، وتارة للحب، وأخرى للزواج.

هكذا يكون المداهنون، حسب حاجتهم يتلونون، وحسب أهوائهم يتغيرون، ويضرون ولا ينفعون، وما يتبعهم إلا الغافلون، الذين يسمعون ولا يعقلون، وينظرون ولا يبصرون. قال تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴾ (الأعرف ١٩٨).

العظاءة



العظاءة، كثيرة الألوان، كثيرة الأنواع، شبيهة التمساح، سليلة الأفاعى، كثيرة الخداع عند الدفاع، فتقطع الذيل ليتلوى، فينشغل العدو عنها ويتلهى، فإما تهرب وإما تضرب، فإن كان العدو سفيها، أحدثت انتفاخا وأصدرت فحيحا، وبذيلها تضرب، فتوهمه بالقوة رغم ضعفها، فيخنس السفيه خوفا من بطشها.

هكذا كل لئيم ضعيف، يخدع الأقوياء بقطع الذيل ليتجنب معهم القتال، ويرهب بالقوة الزائفة الضعفاء والجهال، فيخشوه ويرضون بمقتضى الحال، فإذا فطن القوى للخداع وهم بالقتال، سفه الضعيف فعله، ورماه بقبيح المقال، ودافع عن اللئيم وعظَّمه خوفا منه؛ ولو انهال عليه بالنعال. قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ (البقرة ١٣).

الوزغ



الوزغ، مرقط رقيق الجلد، ليس له جفن، سريع الحركة مرواغ، غير محبوب قط، إن أحس بالخطر، يتلوى بذيله لينشطر، فيلهى المطارد بالذيل، ويفر بالرأس من الخطر.

فإن واجهت العدو، فلا يلهينك ذيل الخطر، وإنما عليك بالرأس، فإن قطعتها تبعها الذيل وزال الخطر. قال تعالى: ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ (محمد ٤).

الأسماك

الأسماك



الأسماك، كثيرة العدد كثيرة الأنواع، سريعة الهرب، مختلفة الطباع، مابين شراسة وعنفوان، وما بين مسالم وجبان، يأكل كبيره صغيره، وقويه ضعيفه، وما اتفقوا إلا فى البله والنسيان، فكانوا هدفا سهلا للإنسان، ما أن يلقى إليهم بالشراك، إلا ألقوا بأنفسهم فى الشباك، فإن لاذ بعضهم بالفرار، وعاد إلى حيث صحبتهم الأحرار، نسوا ما قد لحقهم من أضرار، ثم لاقوا الشباك بالأحضان، فلا اتعظ صاحب الضرر، ولا تعلم من الدرس الأحرار.

كذلك العامة والدهماء، يأكل بعضهم بعضا، والكبر لهم داء، وإن كان كثيرهم سفهاء، فكم ذاقوا الذل والشقاء، والقهر والعناء، ومر القضاء، وكم دعوا برفع البلاء، حتى أدركتهم السماء، فما لبثوا أن حنوا لمن إليهم أساء، وظنوه مبعوث السماء، بل وطغوا وتكبروا على غيره واتهموه بالغباء، وما تعلموا من سابق دروسهم، فنكثوا رؤوسهم، وأشادوا بالذل، واستلذوا بالبلاء، فإن كان البله والنسيان للأسماك داء، فكذلك العامة وزاد عليه الغباء. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ (الحشر ١٩).

الحوت



قال تعالى: ﴿ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ ﴾ (الصافات ١٤٢) الحوت، كبير حيوانات الأرض، عظيم سكان المياه، يفتح فاه، فيلقم كل ما يلقاه، وما هو بطمع، وإنما هو قانون حياة، فبموت الضعفاء تشتد قواه، وموت الصغار للحوت حياة، يمضى بأمر الله، وكان ليونس سفينة نجاة، حتى إذا جاءه أمر الله، على البر ميتا تلقاه، فإذا رأيت من يقتل كل من سواه، ومن خالفه الرأى أو هجاه، طمعا فى سلطة أو رتبة أو جاه، فهو حوت على الأرض محياه، اتبع هواه وخالف أمر الإله، فهو فى ضلال وإن أحسن الناس مُحَيَّاه، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (القصص ٥٠).



الدولفين

الدولفين، أمير البحر، والدليل إلى البر، ينقذ الغريق، ويهدى إلى الطريق، شعاع من الأمل فى عالم بلا مثل، يأكل كبيره صغيره، ويسحق قويه ضعيفه، أليف فى عالم العدا، خَيِّر فى عالم الشر.

هكذا جنود الحق، صامدون عن الحق، ثائرون عند الظلم، لا تفزعهم قوة ولا يثنيهم شر، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ (آل عمران ١٧٣).

الأخطبوط



الأخطبوط، عظيم الخلقة، شديد الذكاء، كثير الأذرع، صاحب ثلاثة قلوب، تخشاه الأسماك لقوته، فلا تقربه، فيبدع فى التخفى ليمسك بصيده، فإن أمسكه لا يفلته، يباشر أنثاه عن بعد، فتحفظ البيوض فى جوفها، وتنظف كل ما حولها، وتهىء لها جوها، وتنسى الأنثى نفسها، فإذا خرج الصغار إلى الحياة، كانت للأم نهاية الحياة، فقد ضحت بنفسها، من أجل جيل يبقى جنسها، وينشر فكرها، يظهر من الغيوب، خاليا من العيوب، فلا عجب أن لها ثلاثة قلوب.

فكن كالأخطبوط، صاحب ثلاثة قلوب، قلب يرقب ربه، وقلب يرعى صغاره، وقلب يقاتل من أجل فكره، قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الحج ٤٦).



الينفوخ

الينفوخ، صغير جميل، إلى العزلة يميل، إما لاتقاء الشر، وإما لتفادى ظلم الغير، ولصغر حجمه وجمال شكله، ووداعة طبعه، صار مطمعا لغيره، لظنهم بسهولة صيده، فإن فاجأه من يخشى منه الغدر، واستشعر بالخطر، انتفخ جلده، وجحظت عينه، وصارت أذنه وسط جسده، وتضاعف حجمه، فتغير من الجمال والوداعة، إلى القبح والشراسة، فارتعد المغير منه وخافه،، وابتعد عنه وعاد أدراجه، ولو بقى على حاله لأكله.

هكذا كل مسالم، يغتر بوداعته الظالم، فإن ظل على وداعته سحقه، وإن تغير طبعه رهِبه، فإن واجهه ارتدع، وعن ظلمه رجع، فلا سلم فى زمن الظلم، ولا جمال فى زمن القبح، ولا كرم فى زمن اللئام، قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ (الأنفال ٦٠).



الديناصور

الديناصور، حجمه كبير، يسبح ويمشى ويطير، يأكل كل ما هو صغير، ويطغى على كل ما هو كبير، غرته الفتوة، وزينت له الملك القوة، فساد العالم وظن أنه أَمِن، ولم يعبأ بغوائل الزمن، فدمرته الأعاصير رغم قوته، وسحقته الزلازل رغم فتوته، وأغرقته الفيضانات رغم سباحته، فلا قوته نفعته، ولا شفعت له فتوته، بل غدرت به الطبيعة وسحقته، كان قبل التاريخ، ولم يبق منه غير تاريخ، وصار فى الأرض كرماد، ينفع الله بجيفته العباد.

هكذا كل متجبر غرته القوة، وزينت له الملك الفتوة، وظن أنه إلى خلود، فأمعن فى الأرض الفساد، وظلم وتكبر على العباد، فمصيره كإرم وعاد، وسيزول وتبقى البلاد، ولن ينسى التاريخ ذكره ، فسيذكره كرمز للظلم وللفساد. ولن ينتفع حتى بجيفته العباد، ويالا حسرته حين يلقى رب العباد، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ ﴾ (الكهف ٨٧).



التنين

التنين، حيوان اسطورى،بشكل اسطوانى، قوى ذو عنفوان، يبث من فيه النيران، يسير فى الأرض فيخلف وراءه الدمار، فإذا أحرق الأرض إلى السماء طار، هكذا على الجدران صوروه، وفى الأذهان وضعوه، فكاد الوهم أن يصبح حقيقة، فتحدثوا عن بطولاته رغم جلبه للدمار، وبالغوا فى قوته رغم استعانته بالنار.هكذا كل ضعيف فَدْم، يستمد قوته من الوهم، يخيلوا إليه القوة، فيظن فى نفسه الفتوة، فيضرم فى الهشيم النار، فيحرق الأعداء والأنصار، فإذا عم الخراب والدمار، حلق فى السماء بجناحين وطار. قال تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ (البقرة ١٢).



الغول

الغول، شديد القوة، بشع قبيح المنظر، يختفى نهارا وفى الليل للقليل يظهر، يتلون كيف شاء، فيخدع من يشاء، فمن تبعه هلك ومن قاومه هلك، فيزهق الأرواح، ويمزق الأشباح، وبرغم قوة البنيان، والشدة والعنفوان، يعيش وحيدا فى الوديان، ولا يظهر إلا فى الظلام، إما لإخفاء بشاعته وقبحه، وإما لفقده بالأمان، فلا يأنس حتى بمثله من الغيلان، فذهب واختفى فى الزمان، استحالت رؤيته، واستحال ظهوره بعد أن أشرق النور فى الأذهان.

هكذا كل ظالم جبان، يخشى من المظلوم يوم الانتقام، فيظل نهاره بلا كسب، وليله بلا أمان، يخشى من البعيد، ويرتاب فى القريب، ففقد الأنس، وتملكه الخوف، وإن بدا فى أوج القوة والعنف.

فلا يغرنكم قوة الغيلان، فإنما هم أبدان بلا أذهان، ولا يعيشون إلا فى الظلام، فلا تقاتلوهم بالقوة، وإنما بنشر النور وإضاءة الظلام فى الذهان.

ولذا قال رسول الله ﷺ «**حين بعث فى الأذهان النور: (لا غُوْلَ)**» **(أبو داوود فى سننه)**.

العنقاء



العنقاء، مزج ما بين الحقيقة والخيال، عن طائر ما له مثيل فى الجمال، طويل العنق كبير الحجم رشيق الجسم كثير الألوان، يبهر الناظر بجماله الفتان، لم تره عين ولم يعرف له مكان، لذا أدرجوه فيما هو محال، صاحب قوة فلا يُغلب، ولكنه يخطف ويهرب، ويلتقط صيده ويُغرب، فأسموه عنقاء مغرب، طويل العمر يعيش الألف، ثم يُحرق فيخرج من رماده الخُلف،فاتخذوه رمزا للخلود، لأنه من الرماد بعد الموت يعود، ثم يغرب من جديد.

فكن كالعنقاء صاحب قوة وجمال، ولكن لا تغرنك القوة فتطغى على الرجال، ولا تتكبر بما أتاك الله من الجمال، فغدا ستغرب شمسك، فدوام الحال من المحال.

قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ (فصلت ١٥).

الخاتمة

قال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (الأنعام ٣٨).

والدابة هى كل ما دب على الأرض بأرجل، والطائر هو كل ما كان له جناحان، إلا القليل، ويذكرنا الله تعالى، بل وينبهنا بأنها أمم أمثالنا، لها قواعدها الخاصة، وقوانينها، وأعرافها، وإن كنا لا نعرف عنها الكثير، ولكن عرفنا منها القائد، كالنملة، والجندى كالهدهد، والمعلم كالغراب، والمحارب، كالطير الأبابيل، وعرفنا منها ما يعمل فى جماعة كالنحل، وما يعمل منفردا كالنمس، وما ذكر الله لنا أنها أمم إلا لنعتبر، ونتدبر فى حكمة خلقه لها، ونتدبر فى بقائها وانقراضها، فمنها من بقى برغم طول الزمان، ومنها من أهلكه الزمان، وضاق به المكان، فالديناصور رغم قوته الهائلة، فى السماء والأرض بل والماء، انقرض بعد فترة من الزمان، والنملة رغم ضعفها وقلة حجمها بقيت مهما مر الزمان، فعلمنا بأن القوة ليست سببا للبقاء، ولا الضعف سببا للفناء، واستنبطنا بأن يكون الذكاء هو سبب البقاء، فمن يجارى تغيرات الزمان والمكان، سبيله البقاء، ومن لم يستطع فسبيله الفناء.

ومن الحكمة أيضًا، النظر إلى سلوك الحيوان، ففيها العجب والعبر، فمنها الوحشى المفترس، كذوات الأنياب، ومنها الضعيف الجبان،

كالصغير من الثدييات، ومنها الذكى ، ومنها الغبى، ومنها الماكر، ومنها الطيب، ومنها المغرور، ومنها المتواضع، ومنها المتطفل، ومنها المتعاون، ومنها الضار ومنها النافع، ولو نظرنا لوجدنا فيها كل الصفات، والتى قد تكون سببا إما لبقاء الحيوان، وإما لفنائه.

ومن الحكمة أيضا أن ننظر إلى ما ينقرض منها وما يبقى، ولو دققنا النظر لوجدنا أن من يعمل منها فى جماعة يطول بقاؤه، ومن يعمل منفردا وحيدا يسارع بانقراضه، فكأنما السر فى العيش وطول العمر هو العمل فى جماعة.

ومن أعجب أسرار البقاء، هو التكيف مع البيئة المحيطة، فقد يهلك حيوانات المنطقة الحارة فى البرد، ويهلك حيوانات المنطقة الباردة فى الحر، ولكن نجد لكل منها تكيف عجيب مع البيئة، فمنها من ينام طول الشتاء (البيات الشتوى) ومنها ما يخرج فى الليل أو يغوص فى الماء، أو يدفن نفسه فى الأرض تجنبا للحرارة.

فكل يعرف كيف يتجنب ما يضره، فإن لم يفعل فقد سارع بهلاكه.

وقد تعلم منها الإنسان الكثير، فطار كالطيور، وسبح كالأسماك، وغاص فى الماء، فسبحان من علم الأنسان بخلق الحيوان.

قال تعالى: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ (لقمان ١١).

حسن خليل